المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التاسع بعد المائة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٦ — ٧ ذي الحجة سنة ١٣٦٥

هذي هي الاغلال

لعلّ هذه أول مرة في تاريخ هذه المجلة يعنى محرر من محرريها بكتاب يصدر فيخصص له الصفحات الأولى منها . لا نقول هذا لأن هذا تقليداً جديداً في الصحف العلمية أو الأدبية ، فقد تفرد مجلة من كبريات مجلات العالم مقالها الافتتاحي لنقد كتاب أو التعريف بمؤلف ، وإنما نذكر ذلك لأن هذه أول مرة يفرد المقتطف افتتاحيته للكلام في كتاب يصدر في الشرق أو الغرب . ولا شك أن ذلك إنما يرجع إلى أن هذا الكتاب ، هو في تقديرنا يستحق هذه المنزلة وله أن يحتل هذه المكانة .

ليس لنا بصاحب هذا الكتاب معرفة من قبل ، ولم يدر بخلدنا أن أستاذاً نابهاً كالأستاذ عبد الله القصيمي يمكن أن يخرج على أهل هذا الزمن بمثل هذه الأفكار من بيئة بعيدة عن الاحتكاك بأفكار العصر الذي نعيش فيه ، ويذهب في تحليل العقلية الجامدة التي وقفت بأهل الاسلام القرون تلو القرون مذاهب الحر المتزن المستند إلى حقائق مقتطعة من صميم الحالة الاجتماعية والعلمية ، التي تكتنف أهل الشرق والمسلمين منهم خاصة .

ونحن فوق ذلك لا ننتصر للكتاب ولا لصاحب الكتاب ، وإنما ننتصر لاعتقادنا الجازم بأن الكتاب وصاحب الكتاب هما إلى جانب الحق في تصوير عقلية المسلمين في هذا الزمن الذي دارت عجلته وظلت مجلة المسلمين واقفة ، ولأن هذا العصر لا يرأف أهل النزعة الأخروية التي دعها على الاسلام مسلمون أو غير مسلمين ، ساءت نيتهم أم حسنت ، أولئك

الذين أدخلوا في الاسلام من بدعات المخنوع والتأخر والانحلال ما صبغه بتلك الصبغة التي لا يرضاها لنفسه مسلم ، ويأباها الاسلام على كل المسلمين .

أنتصر لهذا الكتاب لأني أشتم فيه ريح القوة والجبروت والعزة التي هي من صفات الإسلام ، وليست الآن من صفات المسلمين . وأتنسم فيه عبير حرية الفكر وحرية الضمير ، وأرى فيه هزّة نفسية تصدر من أعماق الضمير الاسلامي على حقيقته الأصيلة، لا على ظاهر تلك الأقوال التي دسها على الاسلام ونبي الاسلام ، مغفلون من أصحاب التقوى الزائفة ، أو مدلسون من أصحاب المذاهب المريضة ، أو مزورون من أهل السياسة ، أو شعوبيون يودون لو أن العرب والعربية والعروبة تطوى صفحاتهنّ جميعاً من هذا الوجود ، أو دخلاء في الإسلام نقلوا إليه من مذاهب الزهد والنسك والباطنية، هنوداً كانوا أو روماً أو فرساً أو أغارقة ، ما كان منهم في ضياع ملكهم وزوال سلطانهم ، أمام تلك القوة الكاسحة وأمام الخُلق الثابت والنفس المتأججة التي ضرب بها الإسلام في أصول تلك الممالك، فهشمها وحطم ملكها وأباد سلطانها، بعد أن نخر منها الزهد والنسك والباطنية العظم، وعرق اللحم، وخلفها حطاماً ، وجعلها أحاديث .

أيصدق منخل أو مجنون أن النبي العربي صاحب الرسالة العظمى في تاريخ البشرية يقول : لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهنّ الكتابة واستعينوا عليهنّ بالمغزل وسورة النور ؟ وهو الذي جاء بدينه لتوأة نصيراً ، وهو الذي أنقذ الموءودة من جهالة الوثنية الأولى !

أيصدق عقول أو معتوه أن محمداً بن عبد الله العربي الصميم وصاحب رسالة الإسلام يقول : اللهمّ من آمن بي وصدّقني وعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك، فأقلل ماله وولده وحبب إليه لقاءك ، ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك، فأكثر ماله وولده وأطل عمره ؟ وهو الذي جاء بدين الدنيا والآخرة !

أيصدق مسلم صادق الإسلام أن نبيّه يقول : إنما بعثت بخراب العالم ولم أبعث بعمرته ؟ إلا أن يكون خليع بمارستان أو هارباً من مستشفى مجاذيب !

أيدخل في تصور مسلم مؤمن بمحمد وبرسالة محمد أنه يقول : من أخذ لقمة أو كسرة

من مجرى الغائط والبول فصلها ثم أكلها لم تستقر في بطنه حتى يغفر له ؟ إلاّ أن يكون طويل الأذنين كالحمار ؟

أتصدقون أيها المسلمون الصادقو الاسلام ان نبيّكم وصاحب رسالتكم يقول : لا يأتي زمان إلاّ والذي بعده شرٌّ منه ، وأنه يقول : لا يزداد الأمر إلاّ شدة ولا الناس إلاّ شحًّا ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الخلق ، وأنه يقول : كل شيء ينقص إلاّ الشرّ فإنه يزيد ؟

أهذه هي العقلية التي دوّخت العرب وهم صاقلة الأمم ، ودوخت الفرس والرومان ؟ وفتحت العالم المعمور من حدود بحر الظلمات إلى أغوار الصين ؟

اذا كانت الصهيونية قد استطاعت ان تدسّ على الاسلام وعلى العرب وعلى المسلمين أجمعين كل ما اتصفت به الأمم التي أكلها الاسلام أكلاً وهضمها هضماً ، وهي ترسف في قيود الزهد والنسك والباطنية ، وإذا كنا قد استطعنا الآن أن نلحظ شعاعاً من نور في الأفق الذي غشت عليه هذه الزعمات وأظلمته تلك الآراء المزوّرة والأحاديث المدسوسة ، ألا يكون من أسباب فوتنا أن نعرف انه قد دُسّ علينا ودُلّس على ديننا وزوّر على عقيدتنا ، وأننا بذلك انحدرنا من تدويخ الامبراطوريات وتحطيم القائم من الوثنيات ، إلى الكلام في مثل ما تكلم فيه السيوطي في كتابه « كشف المعمي في فضائل العُمَيّ » ، وكتابه « الفرثوث في فضل البرغوث » ؛ أو ما تكلم فيه ابن حجر العسقلاني في كتابه « بذل الماعون في فضل الطاعون » ، أو ما ترى في كتب المناقب وغير كتب المناقب من الخرافات التي تهلع لها قلوب الأحرار ، والأساطير التي تهتز لها الأرض وتفزع السماء ، أو البحث فيمن يحمل فوق ظهره قربة ملئت فساءً هل تصح صلاته بها أم ينتقض وضوؤه ؟

الأغلال التي قيدت الإسلام والمسلمين ، والأساطير التي أودت بحياة الرومان والفرس ، والخرافات التي دست علينا ودخلت في ديننا زوراً ، وزعمات الزهد الكاذب والنسك البائر والصوفية المجنونة والباطنية البلهاء ، تلك هي الأشياء التي يدعو هذا الكتاب إلى تحطيمها ونبذها بل وحرقها وتذريتها مع الريح ، لترتد ثانية إلى إسلام محمد والصديق وعمر ، وإلى رجولة بن الوليد وأبي عبيدة وعبد الرحمن الداخل ومحمد بن القاسم ، ونقول مع نبينا وصاحب شريعتنا السمحاء : الساكت عن الحق شيطان أخرس.

اسماعيل مظهر

من المُغفل

« إن الجهل الاعتقادي قد ضرب على قومنا عقداً فوق عقد ، وإن أفضل ما يعمله المرء أن يحل عقدة من هذه العقد . . . إن للوهم الواحد في الحياة ثلاث نتائج :

أولاها : أن يعوق عن السير الى الغاية المنشودة ، وثانيها : أن يوجه جهة أخرى مضادة ، وهذا فيه من الابعاد عن الغاية وضياع الجهد المبذول سدى ، وثالثها : افساد العقل ... فان الاوهام تأكل العقول وكل وهم يأخذ من العقل بقدره . ولا تزال الاوهام تتوالى عليه حتى يصبح عاجزاً عن التمييز في النهاية عن وظيفته . . . أما ما في هذا الكتاب هو من الحقائق الازلية الابدية التي تفقدها أمة تتهوى ، لانها فقدت حقيقة من حقائقها الطبيعية ، وتأخذ بها أمماً أخرى تتنهس لانها قبلت الطبيعة الكاملة بطبيعتها الكاملة ... ولن يوجد مسلم واحد بين الاربعمائة المليون المسلم ، يستغني عن هذه الافكار اذا أريدت له حياة صحيحة طبيعية ».

***

« ان الدين اذا فسد العمل به ، صار آلة ضعف وانحطاط » .

***

« ان التفاوت بيننا معشر المسلمين ، وبين الاجناس والامم الاخرى ، لا بد له من أسباب وعلل . وهذا ما لا ريب فيه . فليس من المعقول أن يكون تقدم قوم ، وتأخر آخرين متساويين لهم من ظاهر الخلق ، بل وباطنه ، صدفة من الصدف أو مجرد اتفاق لا تعليل له ، بل كل شيء قائم على أسباب وعلل » .

والمسألة لها احتمالان أو فرضان من حيث النظر العام : أحدهما أن يقال : إن هذا التفاوت طبيعي في أصل التكوين وجبلة الغريزة ، وثانيهما أن يقال انه تفاوت عارض له أسباب عارضة من الممكن علاجه ومن الممكن الشفاء منه .

أما الفرض الاول : فليس من الممكن القول به ولا المصير اليه ، وذلك أن تطور العقل البشري في جميع مراحله ومراحل وجوده ، لا يدل لهذا الفرض فرصة لان يكون مقبولا قائماً . واذن فالفرض الآخر هو الصحيح الواجب المصير اليه ، وعليه بنينا بحثنا وكتابنا .

عبد الله القصيمي

في هدي الاغلال

أمحوتب

وزير الملك زوسر وطبيبه

وبالتالي إلـه الطب المصري القديم

خصص هذا المقال لذكرى الطبيب والساحر والحكيم الممتاز ، الذى ظهر لأول مرة على مسرح التاريخ المصري في عهد الملك زوسر من الأسرة الثالثة كما ظهر بعدئذ مرة ثانية على نفس ذلك المسرح ، خلال مدة تزيد على ثلاثة آلاف سنة .

فالبك أيها القارىء تاريخ ذلك الطبيب « أمحوتب » في عصر نشاطه ، وشباب شهرته ، معاصراً للفرعون « زوسر » ، وفي العصور التالية ، حيث كان معتبراً نصف إله ثم أحد الآلهة المصرية .

﴿ نشأته وظهوره ﴾ كانت مدارس الطب عند قدماء المصريين تابعة للهياكل وخاصة برجال الدين . قال هيرودت في كتابه الثاني ، الفصل ٨٤ :

« وكان من النظم المتبعة عندهم أن كل واحد من الأطباء يختص بعلاج مرض واحد ، » « لا يعالج غيره . فكان فريق مختصاً بعلاج أمراض البطن ، وفريق مختصاً بأمراض » « الرأس ، وفريق مختصاً بأمراض الأسنان ، وفريق مختصاً بالأمراض الباطنية » .

وقد ذكر هوميروس في كتابه « الأوذيسية » في الجزء الرابع العدد ٢٢٧ ، أولئك الأطباء ، ووصفهم بالمهارة في الطب والتفوق فيه حيث قال : « إن الرجال في مصر أكثر مهارة في الطب من جميع الشعوب » .

وقال « مانيثون » المؤرخ المصري القديم : « إن الملك « أتونيس » من الأسرة الأولى مارس الطب ، ووضع كتباً قيمة في « التشريح » ، ولكن يد الدهر قد لعبت بتلك الكتب حتى لم يبق لها أثر الآن .

وإنا لذاكرون هنا موجزاً عن حياة « أمحوتب » في أدواره الثلاثة ، التي لعب فيها أدواره الرائعة على مسرح التاريخ ، حتى كان له من المكانة ، ما ألزم المؤسسين الأطباء وأفذاذ الفراعنة وعلماء المؤرخين أن يشيدوا بذكره ، وأن يكتبوا له صفحات ناصعة بيضاء ، باقية على الدهور والأزمان :

(١) « أمحوتب » معاصراً الملك « زوسر » (٢٩٨٠ سنة ق . م)
(٢) « أمحوتب » طبيباً للف إلّه (سنوات ٢٨٥٠ — ٢٥٢٥ ق . م)
(٣) « أمحوتب » الحكيم للطب (سنوات ٢٧٢٥ ق . م — ٢٥٥٠ ق . م)

١ — ﴿ أمحوتب المعاصر للملك زوسر ﴾ ولد « أمحوتب » في قرية « عنخ تاوي » القريبة من ممفيس ، في ١٦ من أبيب ، وتوفي في ١٧ من مسرى ، ولكنّا لا نعرف في أية سنة ولد ، ولا في أية سنة توفي ، كما إنا لا نعرف عن تاريخ طفولته شيئاً ، وكان أبوه « كا ـ نفر » مهندساً معمارياً بارعاً ، وكانت أمه تدعى « خرد ـ عنخ » ، وزوجته تدعى « رنبت ـ نفرت » وابنه « رع ـ حتب » .

وقد اصطلح قدماء المصريين على أن معنى « أمحوتب » — « الآتي بسلام » .

ولقد بدأ « أمحوتب » حياته بنشاط متنوع نادر حتى استحق أن يلقب بالألقاب الآتية (١) وزير (٢) مهندس معماري (٣) كاهن وعالم بالطقوس الدينية (٤) حكيم وكاتب ماهر في علم الفلك (٥) طبيب وساحر .

١ — ﴿ أمحوتب الوزير ﴾ كانت وظيفة الوزير تفرعون من الوظائف السامية ذات المسئولية الكبرى . فقد كان الوزير في الوقت الواحد يجمع بين الوظائف والألقاب المتنوعة : « حبيب الله ، وفم السلام في الديار المصرية ، والمتصرف بأمر الملك في الوجهين القبلي والبحري ، وحامل أختام الملك ، ورئيس الأبياء » .

وفي عهد الدولة القديمة اشتهر في الأمة المصرية ثلاثة وزراء (١) أمحوتب (٢) كاجمنا (٣) فتاح حتب .

ووُجد منقوشاً على صخرة من حجر الجرانيت في جزيرة الساحل قبلي أسوان على ميلين منها ، خرافة مجاعة السبع السنين ، وإن تاريخها يرجع الى عصر البطالسة ، على أن شكلها يدل بوضوح على رجوع تاريخها الى عهد الملك « زوسر » ، ووزيره « أمحوتب »

ش ١ — الملك زوسر من الأسرة الثالثة

وقد ذكر في الفصل ٤١ ، العدد ٥٤ من سفر التكوين : « وابتدأت سني الجوع تأتي كما قال يوسف ، فكان جوع في جميع البلدان ، وأما جميع أرض مصر فكان فيها خبز »

وفي سنة ١٩٢٦ عُثر على تمثال الملك « زوسر » (ش ١) في الهرم المدرج ، وقد نقش على قاعدته أن الوزير أمحوتب أهداه لمليكه .

ب — ﴿ أمحوتب المهندس المعماري ﴾ كان « أمحوتب » رئيس جميع أشغال الملك « زوسر » في الوجهين القبلي والبحري ، وكان مهندساً معمارياً بارعاً ، إذ تعلم هذا الفن عن أبيه « كانفر » الذي اشتهر بفنه في جميع بقاع الديار المصرية .

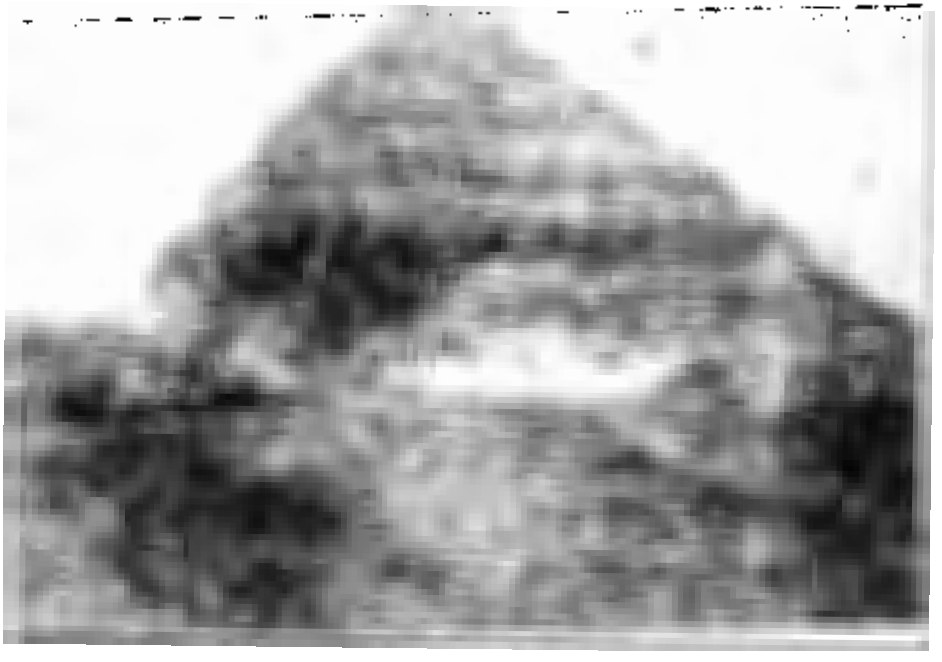

شكل ٢ — الهرم المدرّج للملك زوسر

ولما اعتزم الملك « زوسر » بناء هرمه المدرج (ش٢) في سقارة بمقربة من ممفيس عيّن « أمحوتب » وزيراً مهندساً للاشراف على بناء ذلك الهرم فكان ذلك الهرم درجة انتقال في قبور قدماء ملوك مصر من المصطبة إلى الهرم الحقيقي . وأول من اخترع الهرم المدرج هو « زوسر » ووزيره « أمحوتب » ذلك المهندس الذي وضع هرم مليكه على شكل مستطيل تقريباً ، تبلغ مساحة قاعدته الشرقية والغربية ٣٩٦ قدماً ، وخلوطها من الجانبين

الشمالي والجنوبي ٣٥٢ قدماً وارتفاعه ١٩٥ قدماً تقريباً ، وله ست درجات طول الواحدة منها على الترتيب : ٣٨ ، ٣٦ ، ٣٤ و ٣٢ ، ٣١ ، ٢٩ ، فيكون مجموعها ٢٠١ قدماً ، ويتفاوت عرضها بين ستة وسبعة أقدام .

واتسعت رقعة البلاد المصرية في زمانه ، وشُيِّدت طرق المواصلات بين البلاد المصرية وبلاد الهند وما بين النهرين ، إذ وجد في تلك البلاد آثار قديمة وصُنِعت على شكل هرم « زومر » المدرَّج ، يستدل بها على انه كان بين مصر وتلك البلاد طرق مواصلات (راجع كتاب : W, Simpson. The Tower of Babel and the hirs Nimrod.)

ج — ﴿ أحوتب رئيس كهنة ﴾ كان الكهنة عند قدماء المصريين طبقتين : الأولى الراقية وهم الأنبياء (جوتتر) أي خدمة الآلهة ، والثانية العادية (أُوآب) . وكان أحوتب رئيس الكهنة الدائمين ومن الطبقة الأولى الراقية ، حيث اعتبره عامة الشعب كاهناً وطبيباً .

وكان فرعون هو الكاهن الوحيد الأعلى ، المتأسي من حوروس الملبس على جميع الطقوس الدينية ، ولكن « أحوتب » باعتباره ممثل الملك ، له جميع السلطات الدينية المخولة له من مليكه ، كان في نظر عامة الشعب رئيس الكهنة .

د — ﴿ أحوتب حكيم وكاتب ﴾ اشتهر « أحوتب » بأنه أكبر حكماء المصريين ، وكان له في ذلك الميدان آثار كثيرة بقيت أجيالاً ودهوراً طويلة وانتشر بعضها في كثير من البلاد ، ومن ذلك الغناء الجنازي الشهير « بغناء القيثارة » ، ومنه : « ألقِ خلفك كل الهموم ، واذكر الأفراح حتى يأتي اليوم الذي تسافر فيه الى أرض الصمت » . فكان لهذا الغناء أثر عظيم في نفوس المصريين ومن جاورهم . وقد ترجمه العالم الألماني « إرمان » من المصرية القديمة الى لغته ، كما ترجم هذا الغناء الى عبارات أشهرها ما ذكرناه آنفاً . وبقيت هذه الأنشودة سنين طويلة حتى نقلها اليونان والرومان عن المصريين ، وترجموها بما يأتي :

« دعنا نأكل ونشرب لأننا غداً نموت » وذكر القديس بولس الرسول هذه الأنشودة في رسالته الثانية لأهل « كورنثوس » في الفصل ١٥ العدد ٣٢ بعبارة : « إذا كان الأموات لا يقومون ، فلنأكل ونشرب فإنا غداً نموت » .

* * *

وقال هيردوت في الفصل ٧٨ من كتابه الثاني : « إعتاد أغنياء المصريين أن يأتوا بعد

تقديم الأطعمة في ولائمهم، بتابوت من الخشب (ش ٣) فيه صورة المتوفى في هيئة مومياء ، يبلغ طولها ذراعاً أو ذراعين ، ويعتقدون بها أن [illegible] قائلين له : انظر الى هذه الصورة ، وكل واشرب واشرح . فإنك ستكون [illegible]

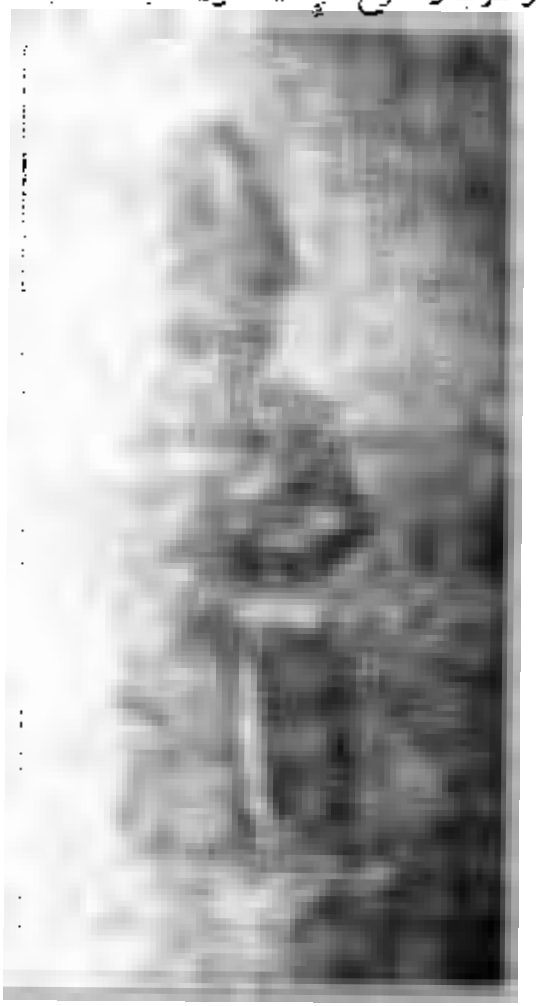

(ش ٣)
تابوت من الخشب يحتوي على جثة محنطة من الزمن الثالث

(ش ٤) أزوريس إله الأموات

وكان من عاداتهم أن عملية تحنيط جثة الميت تستغرق أربعين يوماً ، [illegible] قبرها ، وفي خلال تلك المدة يقيمون الحفلات الطقسية عليها ، والأصدقاء [illegible] ويطوفون بالجثة المحنطة في كل وليمة عند انتهائها .

وقال « إشتين » (Stein) إن هذا الوجه المقرن هو أزوريس (ش ٤) [illegible] الأموات

لأن كل انسان يموت يصير « إزوريساً » في العالم الثاني . وذكر فلوطرخوس « Plutarchus » ولوكيان « Lucian » هذه العبارة ، غير أنه لا يوجد لها أثر في العاديات القديمة .

وقال « ماسبرو » في كتابه « Annuaire Des Etudes Grecques pp. 75—126 »

« يوجد في المتاحف وجوه كثيرة صغيرة مصنوعة من الخشب تمثل موميا في نعش ، بينها وبين ما وصفه هيردوت كثير الشبه ، وان العظة التي نقتبسها منه مذكورة في بعض القصائد المصرية القديمة » كما أوضحنا ذلك سابقاً .

وكان قدماء المصريين يعتبرون ان سعادتهم في تشييد مدافنهم ، وكانوا لا يدخلون القبور ، بل يجتمعون في أيام معلومة في مدافن أجدادهم ، ويقيمون الولائم لهم ، ويطوفون بتمثال حول المدعوين .

اشتهر اسم « امحوتب » مع الحكيمين الشهيرين : « كاجمنا » المعاصر « لخوني » آخر ملوك الأسرة الثالثة ، « وفتاح حتب » وزير « آمي » آخر ملوك الأسرة الخامسة.

و « لفتاح حتب » نصائح دينية قيمة مؤثرة في نفوس الخاصة والعامة ، نذكر منها هذه النصيحة الغالية التي تعلمنا فضيلة التواضع ، لصدورها من فيلسوف مصري قديم وهي : « إذا قلت الرفعة بعد الضعة ، وحزت الثروة بعد الفاقة ، فلا تدخر الأموال بمنع الحقوق عن أهلها ، فانك أمين على نعم الله ، والأمين يؤدي أمانته ، وإن جميع ما وصل إليك ، سينتقل عنك الى غيرك ، ولا يبقى منه لك الا الذكر إن حسناً أو سيئاً »(١)

(ش ٥) تمثال لكاتب (مستشار) مقرب بالمتحف المصري بالطبقة السفلى

وكان « أمحوتب » كاتباً أي مستشار الملك (ش ٥) « زوسر » يؤيد ذلك النقش الذي عثر عليه في معبد النوبة ونصه « أمحوتب رئيس الكتبة لملاك الوجهين القبلي والبحري » .

(١) راجع كتاب الادب والدين عند قدماء المصريين « للطوخي ذكري صفحات ١٥ — ٢٠ »

٨ — ﴿ أمحوتب عالماً بالفلك والنجوم ﴾ كان المعبد « تحوت » عالماً في الفلك وغيره من العلوم ، حتى كان ينسب اليه وضع علم الفلك ، ولكن الفلك الأثاني « زيتي » (Sethe) عثر في نجع يوناني يرجع تاريخه الى سنة ١٣٨ ق . م. ان « أمحوتب » كان شريكاً للمعبود « هرمس » في التنجيم (أي معرفة المغيبات بواسطة النجوم) .

قال هيردوتس في كتابه الثاني في العدد الرابع : « أما ما يختص بالأمور الفلكية وعلم النجوم ، فقد اتفق الجميع على أن المصريين أصحاب الفضل والسبق في رصد سير النجوم والكواكب » .

* * *

٩ — ﴿ أمحوتب ساحراً وطبيباً ﴾ كان السحر والطب في عهد الفراعنة ممتزجين بعضهما ببعض ، وكان السحر في الغالب معتبراً عندهم قرين الطب ، كما كان « أمحوتب » معتبراً نصف إلّه للطب في عهد الملك « سنكاوزع » من الاسرة الرابعة ، وإلهاً كاملاً للطب في عهد العجم في مصر .

١٠ — ﴿ أمحوتب نصف إله للطب ﴾ كان قدماء المصريين يطلقون على كل من امتاز في حياته بميزات طبية قانونية وذهنية ، لقب « البطل » أو « البطل الالهي » أو « البطل نصف الّه » ، وكذلك كان عامة الشعب اليوناني يعتبر أولئك الممتازين بعد موتهم قوماً فاقوا قوة البشر ، فيقدسون لهم فروض العبادة من أجل ذلك .

والورقة البردية التي عثر عليها في سنة ١٩١٣ العالمان « جرنفل وهنت » في « أكسيرنكوس » (Oxyrynchus) بالفيوم تدل بوضوح على أن « أمحوتب » كان معتبراً عندهم نصف إلّه للطب ، إذ وجد مكتوباً عليها « أن « أمحوتب » كان معتبراً نصف إله في عهد الملك « سنكاوزع » بن خوفو الذي يرجع تاريخه الى سنة ٢٨٥٠ ق . م ، وبعد بداية حكم زوسر بمائة وثلاثين عاماً . وفي الغالب أن تلك الورقة البردية كتبت في القرن الثاني قبل الميلاد .

* * *

ومن الغريب أن هيردوتس ذكر في الفصل ٥٥ من كتابه الثاني « إن قدماء المصريين لم يؤدوا فرائض العبادة « للأبطال » ، فكأن هيردوتس كان يجهل تاريخ قدماء المصريين وديانتهم الحقيقية ، ولم يرشده أحد من الكهنة الى أن من أبطال قدماء المصريين

« أمحوتب » ، وأمنوفيس بن حاپي » ش ٦) الذين عدّتهما العامة الشعب المصري وألّهها أخيرًا الى الألوهية . وفيما عدا هذه المعلومات الكثيرة . كذلك كان هيرودوتس لا يعرف شيئًا عن جغرافية مصر القديمة ، ولم يعرفها لعرف انه كان من بلادها في عهد البرنلق بلدة تدعى « قرية الأبطال » وهي التي عرفها البونانيون بتل المخوطة (بيثوم) .

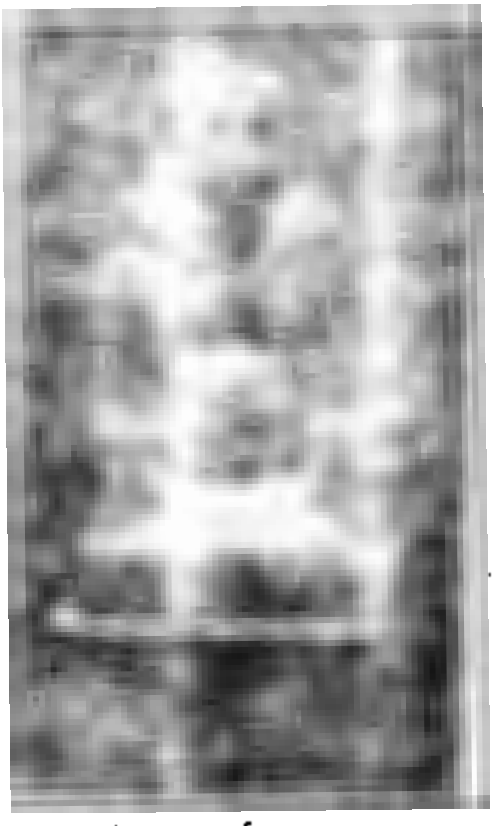

(ش ٦) أمنوفيس بن حاپي

(٧) أمحوتب كصف آله الطب

وكان قدماء المصريين يصورون « أمحوتب » صوراً متنوعة ، ويرسمونه رسوماً متعددة ، تختلف باختلاف تطوراته ، وتتشكل حسب رقي درجاته ، فكانوا يرسمونه بهيئة كصف إله الطب (ش ٧) جالساً وبيده ملف على هيئة ورق البردي ، وفي رقبته عقدان ، وتارة يصورونه عاري الرأس ، وأخرى لابساً قبعته ورسموه إلمامًا كاملاً على صورة انسان حاملاً الشارات الملكية ، وفي يده اليمنى صولجان ، وفي اليسرى علامة الحياة كما رسموه واقفاً وجالساً (١)

(١) راجع (ش ٨) تالوت مصيص

٣ — ﴿ أمحوتب إلـه الطب ﴾ كان « أمحوتب » وزيراً لملك « زوسر » ، ثم رقي إلى درجة إلـه الطب في عهد كانت مصر تحت نير الفرس ومن « قمبيز » ، وفي الوقت الذي طرد فيه الاشوريون سنة ٦٥٤ ق . م . حتى ولاية المجم صنه ٥٢٥ ق . م وكان قد مضى بين وزارته وتأليهه خمسة عشر جيلاً .

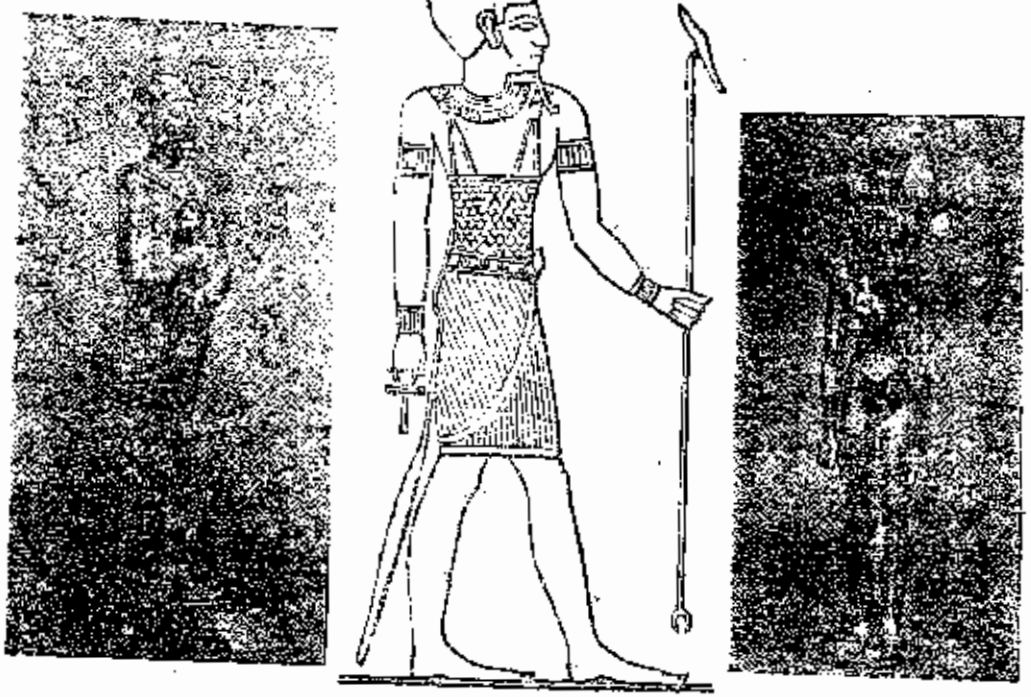

ش ٩ ش ٨ ش ١٠

ثالوث منفيس (٨) امحوتب اله الطب المصري القديم والى يمينه رقم (٩) الاله فتاح والى يساره رقم (١٠) المعبودة سخمت

فقد نشأت الاسرة ٢٦ المعروفة بالاسرة الصاوية ، ذات العصر المجيد في تاريخ مصر القديم . ولما عاهدت أعمال « أمحوتب » وآثاره الخالدة ، أرادت مكافأته خير مكافأة ، فلم تجد خيراً من تأليهه ورفعه الى درجة إلـه . ولقبته بابن الإلـه فتاح (ش٩) وصار عضواً في ثالوث منفيس الذي تكوّن من فتاح وزوجته سخمت (ش١٠)، و« أمحوتب » الذي سمّاه اليونان « امونيس Amonithes » و « اسقولافيوس Asklepios » .

وقد شيّد له المصريون معابد كثيرة بوصفه إلـه الطب ، أهمها معبد ممفيس الذي صار أكبر مستشفى ومدرسة للسحر والطب بعد ذلك ، ولكن مما يؤسف له أن الامبراطور « ثيودوسيس » هدم ذلك المعبد ، وكان به صندوق للصدقة على شكل حية (ش ١١) وهذا الصندوق لا يزال محفوظاً بالمتحف المصري بالدور الأسفل منه في الطرقة الشرقية

ويرجع تاريخه الى العصر الروماني المصري .

وأقاموا له معبداً آخر يسمى « الاسقولافيون » Asklepion

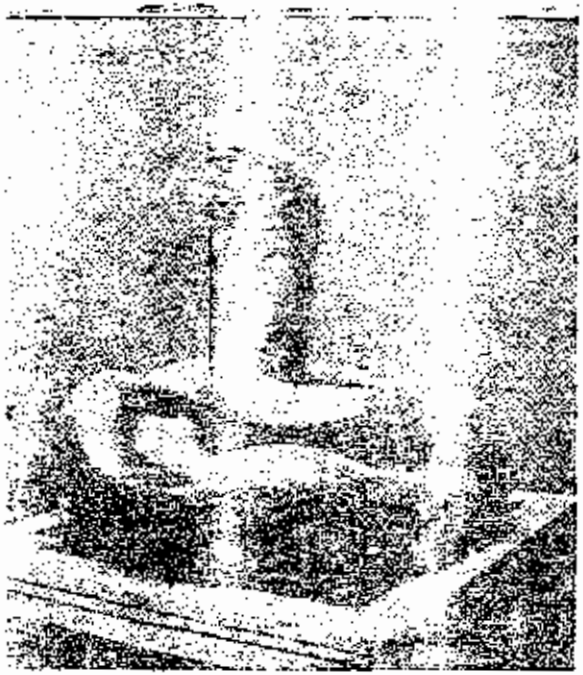

(ش ١١)
صندوق الصدقة على شكل حية محفوظ بالمتحف المصري بالطبقة السفلى

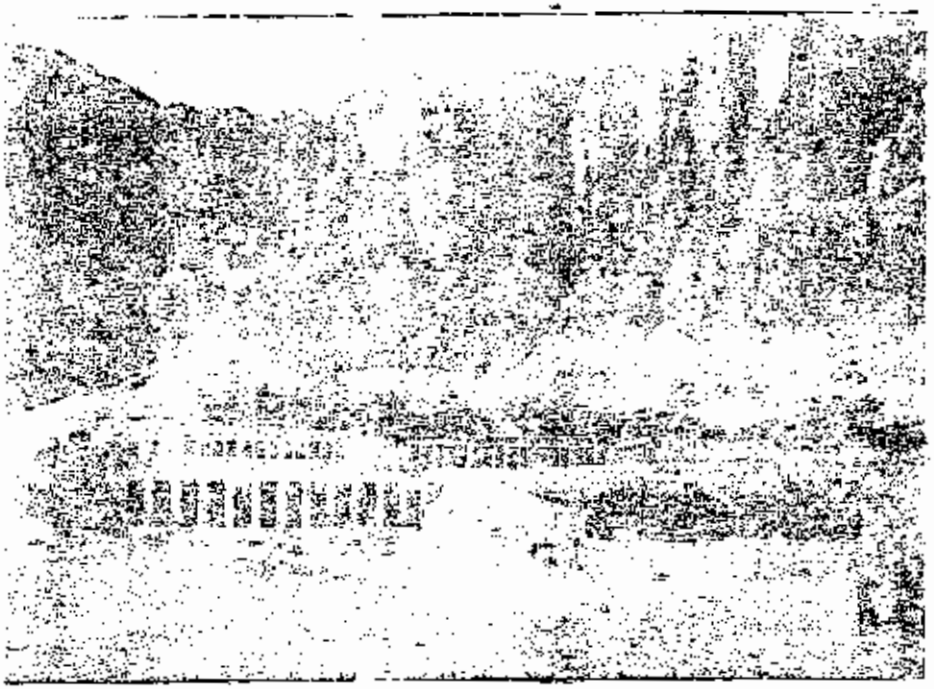

(ش ١٢) معبد الدير البحري بالاقصر الذي شيدته الملكة حتشبسوت

بجزيرة « فيلة » الشهيرة باسم « الجزيرة المقدسة » شيّده بطليموس الثاني حوالي سنة ٢٨٣ — ٢٤٥ ق . م ، ورغم كرّ العصور ، وغمره بماء الفيضان[1] الذي يغمره سنويًا ، بقي هذا المعبد قائماً للآن . كذلك شيّد بطليموس الثامن حجرة في معبد الدير البحري (ص ١٢) خاصة بأمحوتب وأمنوفيس بن حابي .

* * *

المكتبات الطبية لأمحوتب

(إسقولافيوس) بممفيس

كان لكل معبد هام بمصر القديمة مكتبة خاصة به ، تحوي كتباً مخطوطة على جلد الغزال ، أو على ورق البردي ، وقد دوّنت بها الطقوس الدينية التي كانت تؤدّى يوميًا في تلك المعابد . وكان بعض الكتب يدوّن به « كتاب الموتى » الذي كان لزاماً على كل مصري أن يحفظه عن ظهر قلب . وكان بمعبد « إسقولافيوس » بممفيس ومعبد فتاح ، كتب « تحوت » المقدسة محفوظة بهما .

وكان لزاماً على كل طبيب أن يطلق عليها علاج المريض الذي يقوم بعلاجه ، ويعاقب الطبيب الذي يخالف التذكرة الطبية المصرح له باستعمالها في معالجة المريض . وقد نقل بعض الأطباء مثل « ثيوفراسطوس » (Theophrasle) و « ديوسقوريدس » وغيرهما بعض العقاقير والتذاكر الطبية المصرية ، وطرق تشخيص المرض التي تعلموها في معبد فتاح أو « أمحوتب » بممفيس ، ثم انتشرت بعدئذ في أوروبا . وفي الحقيقة أن اليونان نقلوا كثيراً من العقاقير والتذاكر الطبية المصرية ، ثم نقلها عنهم جميع شعوب الأرض .

في الأعياد المخصصة للمعبود أمحوتب يذكر « جوتييه » ان الفراعنة في ممفيس كانوا يقيمون ستة أعياد في السنة اكراماً للمعبود « أمحوتب » :

فالعيد الأول كان لمناسبة ميلاد « أمحوتب » الذي ولد من امرأة بشرية ، وأبوه الاله « فتاح » الذي فرح بمولده كثيراً .

والعيد الثاني كان يقام في مثل اليوم الذي كانوا يحتفلون فيه عظيم الاحتفال بنقل تمثال « أمحوتب » من معبده الى معبد « فتاح » حيث كانت تؤدي له الطقوس الدينية .

---

(١) فيضان النيل

والعيد الثالث في ذلك اليوم الذي انتقلت فيه المعبودة « سخمت » لإمحوتب من الأمورين الأدبياء ... ذه من بين سائر الإنسانات .

والعيد الرابع في ذلك اليوم الذي ترقى فيه « أمحوتب » كان يقيمه أبوه فتاح .

والخامس تذكاراً لدفنه .

والسادس عيد تأليهه .

وقد بقيت عبادة أمحوتب وتأليهه حتى القرن الرابع بعد الميلاد ثم بطلت من بعد ذلك .

* * *

فكيف بطلت عبادة أمحوتب ؟ استولى الرومان على مصر سنة ٣٠ ق . م . وحصلت تغييرات اقتصادية كثيرة في مصر وفي خارجها ، وانتشرت الديانة المسيحية في القرن الثاني بعد الميلاد . في جميع أنحاء البلاد المصرية ، وبخاصة في الاسكندرية ، واعتنق الديانة المسيحية الملك قسطنطين سنة ٣١٣ ب . م . ، وأمر الامبراطور « ثيودوس » الكبير سنة ٣٨٠ ب . م . بأن تعتبر الديانة المسيحية دين الدولة المصرية ، وأدخل اليونان في مصر علومهم وثقافتهم النظرية من تاريخ تأسيس مدينة الاسكندرية سنة ٣٣١ ق . م . ، كل هذه الأسباب مجتمعة كانت كافية في إسعاف وإبطال عبادة « أمحوتب » في الديار المصرية .

* * *

هذا ما أردنا ذكره في هذا المقال عن الوظائف التي شغلها أمحوتب ، والصفات العالية التي امتاز بها من وفرة الذكاء وقوة الارادة وسمو الآداب ودماثة الأخلاق ، وغير ذلك من الصفات التي رفعته الى صف العلماء المشهورين والعظماء المعروفين في التاريخ المصري .

فهو إذن لم يترك مثلاً رائداً في إحدى مقابر ممفيس ، بل بقي خالد الذكر الى يومنا هذا بما اختص به من الدرجات التي لم ينلها أحد قبله ولا بعده من الفراعنة ، حتى رقي الى درجة آلهة الطب ولقد صدق فيه القول المأثور :

« لم يمت من طاشت شهرته » "Non moritur cujus fama vivit" . واكراماً له أنشأ علماء المصريين أباه وأمه وزوجته وابنه تمجيداً له .

انطون زكري
أمين مكتبة المتحف المصري سابقاً

تحول النمو التدريجي

الى انقلاب في الثورة الفرنسية

كل نهضة إجتماعية لا بدّ لها من النموّ التدريجي . ولكن عند حد معين تكثر المؤثرات فتصير إنقلاباً قد يكثر فيه الغلط في الأقوال والأعمال وقد كانت الثورة الفرنسية مثالاً لهذا الانقلاب بعد النموّ التدريجي .

وعند ما بدأ المؤرخون كتابة تاريخها بطريقة علمية كانت الفكرة المسيطرة على أذهانهم أنها أنقلاب لا صلة له بالماضي وإنه لا يصح أن يجمع المؤرخ بين نظرية النموّ التدريجي ونظرية الإنقلاب والثورة الفكرية . وكان أشهر من نظر إليها من حيث أنها انقلاب، الكاتب الفرنسي تين . ولبثت هذه النظرة سائدة إلى أن أظهر مؤرخان صلاتها بالماضي فأظهر موريل صلاتها به في شؤون السياسة الخارجية وأساليبها وأغراضها كما أظهر دي توكفيل صلاتها به في الأمور الداخلية .

عند ما أيقظ أحد الضباط النبلاء الملك لويس السادس عشر من نومه وأبلغه خبر اعتداء الباريسيين على سجن الباستيل واستيلائهم عليه، قال الملك: هذا عصيان. فقال النبيل: لا يا مولاي انها ثورة . وكما أن ذلك النبيل صحح رأي لويس السادس عشر، جاء تين المؤرخ وصحح رأي النبيل . فقال لم تكن ثورة فحسب، بل كانت فوضى واضمحلالاً . ثم أخذ يقيم الأدلة على صحة رأيه . والحقيقة أنها كانت فوضى واضمحلالاً في أول أمرها قبل أن تنظم بعد تجربة إثر تجربة

ولكن موريل ودي توكفيل قد أثبتا أنها بالرغم من ذلك كانت مرحلة عنيفة من مراحل التغير التي شهده الماضي وأوضحا صلاتها بها . ولم تكن آراء دي توكفيل آراء نظرية، بل إنه طاف بمدن فرنسا ودرس السجلات المحفوظة من العهود السابقة وجعل يبحث وينقب حتى كوّن آراءه لم يكن يتوقع تكوينها. فقال : كلما تقدمت في البحث ازداد تعجبي، لأني في كل حين كنت أجد نظماً وخططاً وصفات أراها في فرنسا الحديثة ، وكنت أظنها نتيجة الثورة الفرنسية فإذا هي من عهدٍ أقدم، وقد وجدت أن العوامل التي انتصرت في الثورة الفرنسية هي العوامل التي كانت تعمل قبلها مثل توحيد المقاطعات والقوانين وتنظيمها وإزالة الفروق . حيث وجد غيره من المؤرخين انفصالاً عن الماضي ، وجد دي توكفيل استمراراً معقولاً.

فوجد ان الثورة زادت السلطة المركزية انتظاماً كما زادها دولة البوربون قبلها ولو ان الثورة أضعفتها أولاً في عهد التجربة والارتجال المؤقتة . ووجد ان الثورة الفرنسية قضت على البقية الباقية من آثار النظام الاقطاعي الذي ظلّ ملوك فرنسا يحاربونه دهوراً طويلة وبالرغم من الامور التي تدل على غير ذلك فإن الملوك كانوا يحاولون تحقيق المساواة أمام قانون الملك . وإنما سقطت الملكية لانها تخلت عن خطتها القديمة ولم تتبعها . ثم داد دي توكفيل يقول ان الثورة الفرنسية هي نهاية عنيفة لعمل استمرّ أجيالاً كثيرة ودهوراً طويلة . وبالرغم من نقد النقاد له في الامور الثانوية فقد صارت فكرته هذه أساساً ثابتاً لبحوث من يوثق بهم من المؤرخين حتى قال شيرير الناقد الشهير : إن ما فعله دي توكفيل لعلة الثورة الفرنسية بما قبلها قد فعل مثله علماء الجيولوجية عند ما وضعوا نظرية التغير التدريجي البطيء بدلاً من نظرية الانقلاب المفاجيء السريع في علم طبقات الارض .

فكأنّ الثورة الفرنسية هي نتمة لأعمال الملوك مثل لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر ولاعمال وزرائهم مثل ريشليو فقد كانت خطة ريشليو هي توحيد فرنسا ومحاولة ازالة الفروق المحلية واخضاع النبلاء . وقلّ من يخرج منهم على القانون ، ومحو نفوذهم السياسي ، وقد نجح في ذلك حتى ان كثيراً منهم فضل أن يعيش في فرساي في حشم الملك وبطانته . ويزوال عملهم السياسي لم يبق ما يسوّغ ميزاتهم الخاصة كالاعفاء من الضرائب وغيرها . فلما جاءت الثورة الفرنسية قضت على تلك الميزات وكانت فرنسا الى عهد الثورة الفرنسية لم يتم توحيد نظمها وقوانينها . ففي كل مقاطعة قوانين ونظم . وكان هذا الاختلاف من بقايا عصر الاقطاع فما لم يزله الملوك من فروق ، أزالته الثورة . وكان الملوك قد عطلوا اجتماع مجلس طبقات الشعب دهراً طويلاً كي لا يتقيدوا به . فلما ساءت مالية الدولة بسبب تبذير الحكومة الملكية ورفض الاشراف والكنيسة دفع الضرائب اضطرت الحكومة خشية الافلاس الى عقد مجلس الطبقات ، فكان فاتحة الثورة إذ تحوّل الى مجلس نواب موحد وهو الجمعية الاهلية بالرغم من معارضة الملك والاشراف والاساقفة ، وتعطيل الملوك مجلس الطبقات دهراً طويلاً وخلو فرنسا من مجلس نيابي له خبرة ، من أسباب تحول هذا النمو التدريجي البطيء الى ثورة عنيفة إذ أخذ الساسة بالنظريات العامة التي ظنّ انها تصلح لكل زمان ومكان .

وإذا نظرنا إلى الامور الاقتصادية وجدنا أن هذا التغير التدريجي ملحوظ فيها أيضاً . فقد أثبت الباحثون أن عدد ملاك الاراضي الزراعية من غير النبلاء زاد قبل الثورة الفرنسية بالرغم من قيود وضرائب . ولم تكن ثورة الفلاحين أول ثورة من نوعها . فقد شهدت فرنسا ثورات أخرى كبيرة في القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر ولكن فلات أعباء الفلاح ثقيلة

إذ أنه كان يؤدي للنبلاء الفروض الاقطاعية وللكنيسة ما فرضته ويقوم بأعباء ضرائب الحكومة. ولكن حرص الفلاح الفرنسي مكنه بالرغم من ذلك في الأقاليم التي كان أحسن فيها حالاً من شراء بعض أراضي النبلاء والفقراء كما تمكن غيرهم من البورجوازية فازدادت طبقة الفلاحين في العصور التي سبقت الثورة الا في سني الشدة بين سنة ١٦٨٠ و ١٧٥٠ . ثم جاءت الثورة الفرنسية فضاعفت طبقة الفلاحين بسبب بيع أراضي الكنيسة وأراضي النبلاء المهاجرين. فهذا أيضاً نمو تدريجي غايته انقلاب. واذا نظرنا الى الآراء السياسية والاجتماعية الحديثة وجدنا انها بدأت قبل الثورة وكان بعضها مستفاداً من لوك الفيلسوف الانجليزي ومن مبادئ اعلان استقلال الولايات المتحدة وبعضها من دراسة تاريخ الاغريق والرومان. ولقد كان لهذه الآراء الحرة أثر في الثورة الفرنسية بالرغم من أن أكثر الشعب كان غير مثقف لأنها هيأت للثورة قادة وخطباء وكتاباً ومحققين ومنظمين ، ولأنها أثرت في طبقة الأشراف، فأمقتت سلاحهم، أو جعلته واهياً. وكانت هذه الآراء بين كثير من الأشراف قبل الثورة زيًّا جديداً يفرحون ويتجملون أو يلهون به متخذين منه مظهراً. ويكفي أن نذكر كيف أن الملكة وبعض النبلاء والأمراء تمايلوا حتى مُثِّلَتْ قصة (فيجارو) التمثيلية التي يسخر فيها مؤلفها بومارهيه من النبلاء ويشهّر بهم . وقد مثلت بالرغم من ارادة الملك ووزرائه فكان هؤلاء النبلاء كالفراش الذي يتساقط على النار . هذه الآراء الحرة لم تكن مباغتة بل كانت نموًّا تدريجيًّا انقلب ثورة .

ونشأت طبقة (البورجوازية) قبل الثورة نموًّا تدريجيًّا وهم الطبقة الوسطى من رجال التجارة والصناعة والمال . والكلمة مشتقة من كلمة بورج أي مدينة . وكان رجال المال والتجارة يتحصنون في المدن في عهد الإقطاع ويتخذون جنوداً من أهل المدينة أو من المرتزقة ويمنعون النبلاء من السطو . وكان الملوك وهم يحاربون أمراء الاقطاع يمنحون أهل المدن ميزات ويستعينون بهم لإضعاف نفوذ الأشراف ، فكان أصدقاء لويس الحادي عشر وأعوانه عليهم . ولكن لما صار النبلاء حاشية للملك في فرساي ، صاروا سدًّا يمنع تعاظم نفوذ البورجوازية . وبدأت هذه الطبقة تشعر بما ينقصها من منزلة إجتماعية حرمها منها النبلاء وكان بين أبناء البورجوازية كثير من المثقفين الذين قادوا الثورة ونظموها وبالرغم من ظهور المبادئ الاشتراكية فيها فقد تمكنت طبقة البورجوازية في النهاية من تحويل النفوذ السياسي والاجتماعي إليها بعد أن كان النفوذ الاجتماعي للنبلاء. فمن أية ناحية نظرنا إلى الثورة الفرنسية وجدنا أنها كما قال دي توكفيل كانت نهاية عنيفة لعمل استمرَّ دهوراً طوالاً وهي تثبت أن النموَّ التدريجي البطيء لا يمنع من التحويل إلى انقلاب كبير.

ع . ض

ميزان الحكمة

للخازن

من أولئك العلماء النوابغ الأفذاذ الذين ظهروا في العرب كالخوارزمي والكندي والحسن بن الهيثم والبيروني ، كان الخازن ، وكان من المتقدمين من هذه الطبقة الفريدة التي نظمت عقداً لألاء في جيد المعرفة الانسانية .

وكتاب ميزان الحكمة [1] كتاب نفيس فريد وضعه أبو الفتح عبدالرحمن المنصور الخازني المعروف بالخازن ، وهذه الأخيرة ، كنيته لأنه كان خازناً لمكتبة السلطان أبي الحارث صنجر بن ملكشاه بن ألب ارسلان برهان الدين سلطان خوارزم في النصف الأول من القرن الثاني عشر أي حوالي سنة ١١١٥ م . وهذا الكتاب هو الأول من نوعه في العلوم الطبيعية القديمة عامة وعلم المائيات الساكنة « الهيدروستاتيكا » خاصة .

وبحث الكتاب في مواضيع شتى منها — كما قلت — الهيدروستاتيكا ، ومراكز الثقل ، والأجسام العائمة والغائصة ، والأثقال النوعية لكثير من المعادن ومواد أخرى ، والكثافات للسوائل المعروفة آنذاك . وقد قسم الخازن كتابه هذا ثلاثة أقسام .

القسم الأول — يبحث في الكليات والمقدمات نحو ، الثقل والخفة ، ومراكز الأثقال ومقدار غوص السفن في الماء ، واختلاف أسباب الوزن والقفان وكيفية الوزن به في المايعات ، ومقياس المايعات لمعرفة الأخف والأثقل منها من غير وساطة الصنجات ، ومعرفة النسب بين الفلزات والجواهر في الحجم وأقوال المتقدمين والمتأخرين في ميزان الماء وما أشاروا إليه

القسم الثاني — يبحث في صنعة ميزان الحكمة وامتحانه وإثبات مراكز الفلزات والجواهر

(١) ان هذا الكتاب مفقود ولا يوجد منه إلا نسخة واحدة في الهند ولكن بعض المستشرقين اتموا بعض ما جاء فيه ونحن العرب عرفنا شيئاً عن هذا الكتاب نقلا عن أولئك المستشرقين ومعرفتنا أولا لم تكن تتعدى بضعة أسطر .

عليه ووضع مسنجات لائقة ، ثم العمل في تحقيق الفلزات وتمييز بعضها من بعض من غير سبك ولا تخليص ، بعمل عامل للموازين كلها ومعرفة للجواهر الحجرية وتمييز حقها من أشباهها وملوناتها .

القسم الثالث — يبحث في البيوعات والمعاملات . وهو يشتمل على طرف الموازين وعملها نحو ميزان الدراهم والدنانير من غير وساطة المسنجات ، وميزان تسوية الأرض على موازاة السطح الأفقي ، وميزان يعرف بالقسطاس المستقيم ، يوزن فيه من حبة إلى ألف ، دراهم ودنانير بثلاث رمانات ، وميزان الساعات يعرف به الساعات الماضية من ليل ونهار وكسورها بالدقائق والثواني وتصحيح الطالع بها بالدرج وكسورها .

أما هذه الأقسام فتحتوي على ثماني مقالات

ففي المقالة الأولى : بحث في المقدمات الهندسية والطبيعية لبناء الميزان ، وفي رؤوس مسائل مراكز الاثقال لابن الهيثم وأبي سهل الكوهي ، ورءوس مسائل ارخميدس وأقليدس وماناالاوس ونوفس الروحي مع مسائل متفرقة في مقدار غوص السفن .

وفي الثانية : بحث أسباب اختلاف الوزن مع مقارنة نتائج ثابت بن قره والمظفر الإسفزاري

وفي الثالثة : بحث في النسب بين الفلزات والجواهر في الحجم ، وقارن نتائجه بنتائج أبي الريحان محمد بن احمد البيروني .

وفي الرابعة : بحث في موازين الماء التي استعملها اليونان أمثال ارخميدس وماناالاوس والتي استعملها العرب أمثال محمد بن زكريا الرازي والإمام عمر الخيامي الذين سبقوا الخازن ، وعدد أشكالها .

وفي الخامسة : بحث في صنعة ميزان الحكمة وتركيبه وامتحانه وتعريفه .

وفي السادسة : بحث في استعمال المسنجات . الخاصة بالميزان ثم بحث في تمييز الفلزات المختلطة وتعيينها ومعرفة وزنها في الهواء والماء .

وفي السابعة : بحث في ميزان الصرف وتقويمه على كل نسبة مفروضة ، ثم معرفة وزن كل فلز وجوهر من غير واسطة المسنجات .

وفي الثالثة ، بحث في مجمل ما جاء في الأبواب المتقدمة من آلات في الميزان وطرق في استعماله .

فكان الكتاب في ثماني مقالات احتوت على تسعة وأربعين باباً وهذه الأبواب احتوت على مائة واحد وسبعين فصلاً .

* * *

وقد أورد الخازن تعاريف عديدة للقوانين الفوزيقية منها :

١ — إذا تحرك جسم ثقيل في أجسام رطبة (سائلة) فإن حركته فيها بحسب رطوبتها ، فتكون حركته في الجسم الأرطب أسرع .

٢ — الأجسام المتساوية في القوة والحجم والشكل والبعد عن مركز العالم متساوية .

٣ — كل جسم ثقيل يكون على مركز العالم ، فإن مركز العالم يكون في وسطه ويكون ميل أجزائه مع جميع جهاته إلى مركز العالم ، تنقسم كل واحد منها الجسم لقسمين متعادلي الثقل عند ذلك السطح .

٤ — إذا ضم إلى أثقال متعادلة عند سطح مفروض أثقال متعادلة عند ذلك السطح فإن الجميع متعادلة عند ذلك السطح .

٥ — كل جسم ثقيل يعادل جسماً ثقيلاً فانه لا يعادل بجميع ثقله ولا بأكثر من ثقله جزء من ذلك الجسم ما لم يتغير وضع أحدهما .

٦ — كل جسم ثقيل يتحرك الى مركز العالم فانه لا يتجاوز المركز ، وانه إذا انتهى اليه انتهت حركته .

٧ — كل جسمين ثقيلين بينهما واصل يحفظ وضع أحدهما عند الآخر ، فمجموعهما مركز ثقل وهو نقطة واحدة فقط .

٨ — كل جسمين متعادلي الثقل عند نقطة مفروضة ، فان نسبة ثقل أحدهما إلى ثقل الآخر كنسبة قسمي الخط الذي يمر بتلك النقطة ويمر بمركزي ثقليهما ، أحدهما الى الآخر .

٩ — كل جسمين ثقيلين متساويين في الحجم والقوة والشكل ، مختلفي البعد عن مركز العالم ، أكثرهما بعداً أعظمهما ثقلاً .

١٠ — الجسم الثقيل إذا تحرك في مائع يعاوق بعض بعضاً بمثل ما يعاوق الماء جرم الشيء الثقيل الذي ألقي فيه ويوهن قوته وثقله بقدر حجمه حتى يغلب الثقل في الماء بقدر وزن الماء المساوي لجرمه فينتهي عن ثقله بقدره ، وكلما كان الجرم المتحرك أعظم كانت المقاومة أكثر، وتسمى هذه المقاومة في ميزان الحكمة « الثقل » .

١١ — الاجرام الثقال يعاوقهما الهواء وهي بذواتها في الحقيقة أثقل من ثقلها الموجود في ذلك . وإذا نقلت الى هواء ألطف كانت أثقل . وعلى خلافه اذا نقلت الى هواء أكثف كانت أخف .

١٢ — كل جرم ثقيل معلوم الوزن لبعد مخصوص من مركز العالم ، تختلف زنته بحسب اختلاف بعده منه فكلما كان أبعد كان أثقل وإذا قرب كان أخف وهكذا تكون نسبة الثقل الى الثقل كنسبة البعد الى البعد .

١٣ — كل شخصين متساويين قائمين على دائرة عظيمة من دوائر سطح الأرض تكون المسافة بين رأسيهما أكثر مما بين قاعدتيهما لأنهما على ضعفي خطوطين من مركز العالم ويصيران ساقي مثلث رأسيهما مركز العالم وقاعدته رأسيهما ، وإذا وصل مقاما الشخصين صار الشكل مثلثين متشابهين فأطولهما ساقاً أعظمهما قاعدة .

* * *

هذا عدد قليل من تلك التعريفات العديدة التي وردت في كتاب ميزان الحكمة وأني معجب كل الاعجاب من ذلك الاطلاع الواسع في العلوم الطبيعية الذي أحرزه العرب وتلك الابتكارات والاعمال الواسعة التي قاموا بها في عصور كانت أوربا تتخبط في مهاوي الجهل والغباوة .

يدلنا هذا الكتاب أو قل يدلنا مؤلف هذا الكتاب النفيس على ان فلاسفة العرب الطبيعيين جدُّوا وأوسعوا في البحث في ايجاد الثقل النوعي للمعادن المخلوطة من نوع أو أكثر من نوع وتوصلوا الى ايجاد كم مقدر من كل نوع في ذلك المعدن المخلوط .

ولقد أوصلني هذا الكتاب الى النتائج الآتية :

أولاً — ان فلاسفة العرب الطبيعيين في القرن الحادي عشر والثاني عشر قد تقدموا الى حد بعيد في فكرة التجاذب ، ولو انهم لم يحرفوا تجاذب الأجسام المتناسب مع مربع كبر ونيوتن

ولكنهم قالوا ان جميع الأجسام تنجذب الى مركز العالم (ويعنون بذلك الأرض) لأن الفكرة السائدة آنئذ هي أن الأرض مركز الكون . ولقد عرفوا أن القوة الجاذبة هي بنسبة بعد الجسم عن مركز الجذب وقدّروا ان القوة الجاذبة هي بنسبة طردية للمسافة .

ثانياً — لقد عرف العرب قوانين وسائل مضبوطة فيما يخص القوانين الميكانيكية ، فهم عرفوا المعادلة التي تربط بين السرعة والمسافة المقطوعة مع الزمن الذي في اثنائه قطعت تلك المسافة ، كما عرفوا قوانين مراكز الثقل والروافع وغيرها .

ثالثاً — وعرفوا أن للهواء وزناً وذلك بالتأثير الذي يحدثه الهواء على وزن الأجسام .

رابعاً — وفهم العرب فعل الشرقة ، ووضع الماء في انابيب دقيقة شعرية لها فتحة واحدة .

خامساً — واستعمل العرب الاروميتر الذي ورثوه عن اليونان فحسنوه وقدّروا بواسطته قياس حرارة الماء وذلك عند تقرير الكثافة التي هي بنسبة عكسية للحرارة .

سادساً — ووضعوا جدولاً للأثقال النوعية لجميع الأجسام الصلبة والمائعة التي كانت معروفة لديهم .

سابعاً — وعرفوا أيضاً ان هنالك قوة جاذبة على جميع جزيئات الأجسام وهذه القوة هي التي تبيّن لنا صفة الأجسام . وهذه نظرية جد مفيدة في التحليل الكيميائي وهذه مفتاح لعديد من خفايا الطبيعة .

* * *

ولأجل هذا أرى أن البحث والتنقيب عن أعمال طلاب مدرسة خوارزم في تلك العصور يستحق التعب والاكباب عليه من جميع نواحيه.

وأخيراً لقد أصبح هذا الكتاب « ميزان الحكمة » في متناولي وإني ان شاء الله سأجعله في متناول جميع الذين يهمهم هذا العلم والذين ينقبون ويبحثون عن مخلفات الأسلاف وتراثهم القيم ، في القريب العاجل .

القدس فؤاد سمبعار

العقم في المرأة

شغلت مسألة عقم المرأة العلماء ، ولا سيما الأطباء ، في كل العصور بالنظر لأهميتها في بقاء النوع البشري ولرغبة النساء خصوصاً في الحمل . وقد كانت الشعوب القديمة تنظر لمسألة العقم نظرة خاطئة جداً وبعيدة كل البعد عن نظرة الشعوب الحديثة ، معتقدين أن حدوث الحمل أمرٌ موكول إلى القضاء والقدر . وبعضهم كان يؤمن بأن الحمل خاضع لأمر الآلهة والأصنام ، ولذلك كانوا يلجئون في حالة العقم إلى تقديم الهدايا والقرابين . وعند ما تطوّرت أفكار الشعوب على مرّ العصور أخذوا ينكرون إنكاراً باتّاً تلك الخزعبلات والعقائد الدينية ويُبدلوا أفكارهم هيّناً فشيئاً وفقاً لتطوّر العلم الحديث . ومما يؤسف له جداً أن معظم الناس في أيامنا هذه يضعون كل اللوم على الزوجة إذا لم تنجب أطفالاً لزوجها ، مع أن هذا الزوج نفسه قد يكون هو السبب في عدم الحمل ، سواء لتفريطه بقواه قبل الزواج ، أو لإصابته بأمراض تمنعه من التمتع ببنين . ولهذا نرى الرجل يطلّق امرأته ظلماً وعدواناً ويقترن بامرأة ثانية ، وإذا لم تلد هذه أيضاً فانه يطلّقها ويبحث عن زوجة ثالثة وهكذا ، وكم من النساء البريئات المتمتعات بأعضاء كاملة التركيب وأهلاً للحمل الطبيعي والولادة قد طلقهن أزواجهن لأنهن ، حسب زعمهم ، لم ينجبن أطفالاً مع أنهن او تزوجن برجال سليمين وأصحاء البنية كن قابلات للحمل . ولذلك يقتضي قبل مداواة عقم المرأة إن وُجد ، إخضاع الزوج أولاً لمعاينة طبية لمعرفة ما إذا كانت صحته جيدة وسالماً من الامراض المعدية لنحكم بأنه قادر فعلاً على الانعمال ، وإذا كان مريضاً يُعالَج الى أن يشفى شفاء تاماً ، واذا كان مرضه ميؤوساً منه ، فلا فائدة تُرجى من مداواة زوجته .

وعلى كلٍّ فالطبيعة لها أسرار غامضة لا يمكن سبر غورها حتى للطبيب نفسه . ولهذا يتحتم على كل امرأة مصابة بالعقم أن تنتظر مدة من الزمن بعد زواجها حتى إذا انقضت هذه المدة ولم تظهر فيها علامات الحمل ، أمكنها حينئذٍ مراجعة أحد الأطباء الاختصاصيين

ليرشدها الى ما يجب عمله . فكثيراً ما يتأخر الحمل سنين طويلة بعد الزواج ثم تحمل المرأة فجأة . وأعرف سيدة مضى على زواجها ١٨ عاماً وكانت تتمتع مع زوجها بصحة جيدة . فبذلت كل ما يمكن من الطرق اللازمة والمساعي عند بعض الاختصاصيين ، لكن ذهبت أتعابها بدون طائل وبقيت عقيمة . ولكن بعد انقضاء تلك المدة الطويلة أخذت تشعر فجأة بأعراض الحمل وبحركة الجنين في أحشائها . فكان لهذا الحادث المفاجيء رنّة فرح وغبطة لا توصف أفعمت قلبها وقلب زوجها وذويها معاً .

ولا ينكر أن بعضاً من النساء المتزوجات لا يكترثن كثيراً بالحمل ، بل ستيان عندهن مجيء الأولاد أو عدم مجيئهن . على أن السواد الأعظم منهن كما هو معلوم لا همّ لهن ولا رغبة إلاّ الحصول على بنين ، وقد يبذلن في هذا السبيل أعز ما يملكن تحقيقاً لهذه الغاية التي طالما شغلت بالهن عن كل شيء آخر . ومن سوء الحظ كثيراً ما تفشل المرأة في تحقيق هذا الأمل المنشود بالرغم من مراجعة الأطباء الاختصاصيين فيعتريها إذ ذاك اليأس والقنوط . وقد تصاب حينئذٍ بالنوراستنيا ، أو اذا هئت فقل يمس من الخبل أو الجنون . على أن معرفة أسباب العقم وعلاجها قلما تبقى مستعصية ، بل هي تزول إذا اتبعت المرأة طرق العلاج القانونية التي يشير بها الطبيب .

أسباب العقم

١ — للعقم أسباب كثيرة متنوعة : نذكر منها في الدرجة الأولى السيلان الذي تنتقل عدواه من الرجل الى زوجته . ويقدّر بعض العلماء أن هذا الداء الخبيث مسئول عن ٥٠ في المائة من حالات العقم ، وآخرون يعزون إليه تسبيب ٣٠ في المائة من العقم نفسه . ولهذا يجب أولاً معالجة السيلان وتمام الشفاء منهُ قبل الافتكار بمعالجة العقم الناتج عنه .

٢ — وهناك أيضاً الزهري : وهو داء معروف يعمل بدوره على تسبيب العقم . وإذا حملت المرأة وكانت مصابة بهذا الداء فكثيراً ما تصاب بالاسقاط من وجود سمّه في جسدها . والأطفال غالباً ما يولدون وقد ورثوا المرض من والديهم . ولهذا تجب معالجته معالجة كاملة قبل المباشرة بمداواة العقم . وإذا كانت المرأة حامل فيواصل تطبيبها طوال مدة الحمل ، فيما اذا كانت مصابة به ، دفعاً للإجهاض .

٣ — وبين عوائق العمل الأخرى : البدانة المفرطة لاصطحابها باختلال افراز الغدد الباطنية، وهذه تعمل على احداث العقم عند كثير من الناس . ويجب أن نميز هنا ثلاثة أنواع من البدانة : فالنوع الأول منها يظهر باكراً في دور الطفولة أو في دور البلوغ ، والنوع الثاني يبدو في المرأة الشابة المتزوجة حديثاً وذلك منذ بضعة شهور فقط ، وفي هذه الحالة تأخذ الوظائف الحيضية تضعف عندها مع الزمن . وأخيراً النوع الثالث الذي يحدث من البدانة المكتسبة نتيجة افراط التغذية .

٤ — مفعول التسممات بأملاح الرصاص والتبغ والكحول : لهذه أيضاً تأثير يُذكر في احداث العقم . أما من جهة تأثير المناخ ونوع الطعام والقرابة الأبوية Consanguinité فليس فيها ما يسبب العقم كما يتصوّر بعضهم ، وهكذا قل عن الاجهاد الجسمي والعقلي — بعكس الاضطرابات الحيضية التي لها على ما يظهر تأثير مباشر وثابت في احداث العقم نفسه . ولنأخذ مثلاً على ذلك امرأة عمرها بين ٢٠ و ٣٠ سنة ، أتاها الطمث دفعةً واحدة وبصورة منتظمة في السن ١٢ الى ١٥ سنة ، وكانت الأدوار الشهرية عندها منتظمة دائماً . فهذه المرأة سيأتيها أولاد ٩٩٩ في الألف . بعكس المرأة التي يتأخر حيضها الى السن ١٦ — ٢٠ والتي تشعر غالباً باضطراب وانزعاج في جسمها مع آلام حادة نوعاً في منطقة المبيضين . فامرأة كهذه تكون بلا ريب أقل قابلية بكثير من الأولى في انجاب الأولاد .

٥ — اعوجاج الرحم أي انحنائه أو انحرافه بحيث أن فمه لم يعد متوسطاً : هذه الأسباب لا تعتبر فعلاً كافية لاحداث العقم إذا لم تكن مصحوبة بالتهاب في هذا العضو . والمهم في الأمر أن يكون وضع الرحم في محله أي لا يكون منحنياً لا الى الأمام ولا الى الوراء . فاذا كان كثير الانحناء إلى الأمام لامس المثانة ، وإذا كان منحنياً إلى الوراء لامس المستقيم . وفي كلتا الحالتين يتغير وضعه الطبيعي ولا يتم الإلقاح . .

٦ — التهاب المبيضين ووجود أورام في الرحم : إذا كانت المرأة مصابة بالتهاب في المبيض أو في عنق الرحم ناتج عن دخول الجراثيم ، فهذه الالتهابات كثيراً ما تفضي على النسل . وهكذا قل من وجود أورام في الرحم نفسه كالورم الليفي (فيروما) مثلاً ، أو السرطان أيضاً . وقد تباينت آراء الأطباء حول هذه النقطة : فمنهم من يقول أن الفيروما لا يمكن أن تكون بحدّ ذاتها سبباً كافياً في منع الحمل ، وآخرون يرون أن وجود هذا الورم

عند المرأة يمنع وقوع الحمل . أما السرطان فوجوده في جسم الرحم يناوئ وقوع الحمل على ما يؤكده فريق كبير من الاطباء الاختصاصيين . أما الذي يسمع في عنقه فلا يكون مانعاً من وقوع الحمل نفسه ؟ »

٧ — الأسباب النفسيّة العقلية : وهي تسبب عند بعض الأشخاص تقلصاً بإحداث حالة نفسيّة تجعل مجرّد الافكار بالجماع يسبب تشنجاً في الأعضاء التناسلية والعضلات المهبلية الخ، مما يجعل الجماع أمراً متعذراً يورث العقم . ويشاهد ذلك عادةً في حالة التنافر التناسلي الذي ينتهي بالطلاق غالباً .

٨ — داء السل والبيلة الآحينية Albuminuria والداء السكري : لداء السكري والبيلة الآحينية تأثير لا ينكر في احداث العقم — بعكس السل فانه لا يمنع بوجهٍ عام من تسبيب العقم عند المرأة . ولكن الافضل لهذه أن تكون عاقراً من أن تنجب أولاداً وهي مصابة بهذا المرض .

٩ — وجود نقص أو تشويه في أعضاء الحمل : ومن موانع الحمل أيضاً حدوث العقم إصابة المرأة منذ ولادتها بنقص أو تشويه في أعضاء الحمل مما يقف الطب حياله عاجزاً عن اصلاح النقص الموجود . وهكذا قل عن ضيق الحوض الذي يضطر الطبيب حياله الى اجراء العملية القيصرية التي تنجح في أغلب الأحيان .

١٠ — كبر السن : المعروف أنه كلما دنت المرأة من سن اليأس قلّت الفرصة أو ضعف الأمل في حملها ، غير أن أغلب السيدات لا يردنَ أن يفهمنَ ذلك !

وقد أثبتت الاحصاءات الرسمية أن العقم في النساء يتراوح بين ١٤ و ١٦ في المائة . وبعبارة أخرى أن من كل ١٠٠ امرأة ١٤ الى ١٦ لا يصرنَ أمهات أبداً ، بينما تتراوح نسبته في الرجال بين ١٨ — ٢٠ في المائة .

ما الذي يمكن عمله لعلاج العقم : يتوقف هذا العلاج على معرفة السبب أو الأسباب الحقيقية التي أدّت الى هذا العقم والعمل على إزالتها إن أمكن ذلك . أما إذا بقيت الطرق العلاجية والدوائية عقيمة فلا مندوحة إذ ذاك عن تجربة التلقيح الصناعي باجراء حقنة صغيرة لتقابل المادتين المكونتين للجنين واتحادهما معاً . وتفيد هذه الطريقة خصوصاً عند النساء اللاتي يصاب جهازهنّ التناسلي بتشنجات أو انقباضات تمنع المادتين المذكورتين من الدخول في رحم المرأة ، أو في حالات أخرى أيضاً مثل وجود انحراف بولي أو ضيق في المجرى أو ارتخاء الزوج الخ توجب تلقيح الزوجة صناعيًّا إن كانت تروم الأولاد ، غير أنه يجب القول أن هذه الطريقة لم تصادف النجاح المطلوب الاّ نادراً .

بيروت الدكتور عبده حمدي

انتظار

أي طيف في صفحة الجوزاء يتهادى بالحلة الحمراء
أخيال من عبقر أم شتيت من أمان منثورة كالهباء
أم بقايا الانوار في غسق الليـــل طوتها مطارف الظلماء؟
ذاك ركب المغيب ينهب ركضاً باختيال المدلِّ صدر السماء
أطرق الكون حين آذنت الشمـــس ببينٍ كمدنف من عياء
وترامى الصفصاف من مضض ينزو كشلوٍ مضرج بالدماء
وتهاوت كتائب الطير تطوي في الفضاء البعيد رحب الفضاء
لا تبالي والريح تعصف في الأفـــق كيمٍّ عواديَ النكباء
كلما دبَّ في الجناح فتور أو توانت من سورة الاعياء
ذكَّرتها الحمى لواعج شوق وحنين لرؤية الأبناء
ودعاها الهوى المبرِّح في الصد ر فتُلقي زمامها عن رضاء

***

غمر الارضَ بالكآبة ليلٌ مدلهم يجيش كالأنواء
فاستتر الفضاء إذ نشر الليـــل جناحاً في شملة سوداء
واستطابت حلوَ المنام عيونٌ أجهدتها بهارج الاضواء
النفوس الظمأى يهدهدها الشو ق فتغفو على نشيد الرجاء

والفؤاد الجريح يطعمه الوجد بوعد من كاذب الاهواء
نام من في الوجود غير كئيب يتلظى من وحشة وعناء
ليت شعري من ذا أثار شبا الوجـــد بصدر الحسناء عند المساء
درجت والظلام منعقد الثو ب بذعرٍ كالحية الرقطاء
واستترتْ يبرقع من ظلامٍ حين راحت عن أعين الرقباء
ما دهاها وقد تملكها اليأس فحارت كريشة في الهواء
أعرتها لواعج الألم المرّ فناءت من نهشة الأدواء
أخذت ترمق الفضاء وترعى بالتياع جوانب الجوزاء
وهي حيرى من الوساوس تهب لسهام الاهواء والأرزاء
تتلوّى من الأسى كنزيفٍ صدمته حرافة الصهباء
ليت شعري ما تبتغي حين راحت ترمق النجم في عنان السماء
أتراها تستطلع النجم عما خبأته لها صروف القضاء
أي شيء عند السماء لمن با ت يرجي السماء غير ازدراء
يضرع المرء حين يدهمه الخطـــب ويفري مدامع الضعفاء
ويعدّ اليدين مدّ ذليلٍ مستجيراً في النكبة العمراء
غير أن السماء عن كل شكوى لا تعير الحزين أي اعتناء

* * *

سئمت وحشة السماء فولّت بجفاء وجهاً الى الدأماء
علّها تستبين في البحر أمرٌ كتمته جوانب الجوزاء

فاذ بالنداء يخنقه الموج ويخفي المحيط كل نداء
وتضيع الآمال في لجج الماء وتُطوى الاخبار طي الخفاء
كم حزين أتى الشواطىء يستجلي ببشر غوامض الاشياء
يسأل البحر عن حبيب تنادى مستعيداً أيام عهد اللقاء
وينادي العباب هل من رجاء في لقاء الحبيب بعد التنائي
أي شيء سوى التبرم يُتلى في زفير المحيط من أنداء؟
يبعث البحر تفثة الألم المرّ كمضنى يجود بالحوباء
ثائرٌ صاخب يزمجر هدّاراً ويرغي من قسوة وجفاء
تتهاوى أمواجه حين تهوي كخيولٍ في حومة الهيجاء
ولصوت الرياح أنةُ شكوى من حزين في لجة الظلماء

* * *

ضاق صدر الحسناء ذرعاً فراحت تتراءى شطر الحمى من عياء
تتراءى من الاسى كذبيح أقصدته رماية الاعداء
شفّها أن يضيع في صخب الموج لغاها وينطوي كالهباء

دمشق عرنانة صردم بك

الى السعادة

الحياة الزهرة بغير ماء . . فانه تذبل ، وعلى دوامه تنمو وتزدهر . . واذا انقطع معينه عنها ذبلت ثم ماتت . .

والصحة للسعادة ، كالماء للزهرة . . فلا وجود للسعادة بغير الصحة . . وكلاهما قرينان لا يفترقان . .

وأنت تجد الانسان القوي المعافى . . يشع الناس من حوله بهجة من نور السعادة الكامنة في نفسه . . وما منه في ذلك إلا كمثل الشمس تشرق على الدنيا فتملؤها بالضياء .

ومن النادر أن تصادف الاحزان الرجل المتمتع بصحة . . كما انه من العسير أن تساعد الافراح الشخص العليل الذي يعاني آلام الاسقام . . وليس هذا على الناس بغريب فان العامل الاساسي الاول للسعادة هو الصحة .

فيا أيها المرضى العليلون . ! أعيدوا الصحة أولا . . وبعدها تأتيكم السعادة طائعة تجر وراءها أذيالها .

والصحة ليست بعيدة عنك . لانها بين يديك . . وهي جوهرة على راحتيك . . إن لم تصنها خطفها المرض منك .

وصيانة الصحة أمر سهل ، لا يتطلب منك أكثر من أن تلم ببعض الثقافة الصحية . . وان تنفذ ما تعرف وتطبقه في حياتك اليومية ، فيتكون لديك من ذلك مجموعة عادات صحية تصبح جزءاً متمماً لحياتك لا غنى لك عنه

ومن العادات الصحية الهامة . . أن تغسل أسنانك عند ما تستيقظ في الصباح . . وتشرب قدحاً من الماء على الريق . . وان لا تقل كمية الماء التي تشربه يومياً عن اثني عشر كوباً وتأخذ حمام الشمس كل يوم . . وتتبع في تغذيتك ، الاصول الصحية بأن تكثر من أكل الخضر والفاكهة ومستخرجات الالبان وتقلل من الخبز واللحم . ولا تسرف في السهر . . ولا تدخن . . ولا تشرب القهوة ولا الشاي واستعض عنهما بالكاكاو أو الاتسون . . وكن مسروراً دائماً بقدر ما يمكنك . . وتراكمت ما تراكمت عليك الهموم .

واحرص على أن تفعل كل هذا . . ثم باشر نوعاً من الرياضة البدنية كل يوم . . تجد أن الصحة قد ذوبت لك في كأسها رحيق السعادة .

فريد عبد الله

هل هذه بتنا الحرب؟؟

إن الحرب قد انتهت . وليست بأول مرة في دورة الحياة تنتهي فيها حرب ، وسوف لا تكون آخر حرب يشهد الانسان نشوبها واحتضارها . ولئن هللت فئة من الناس عندما أذيعت بشائر السلام وافتنت في التعبير عما تكنه من الفرح المكبوت والغبطة المستكنة التي لا تخلو من كدر وغم ، فإن فئة أخرى ألقت السلاح عنوة ، وهي تمني النفس بنشوب حرب أخرى فتدرك فيها ما فاتها من المغنم والثأر . وأنى وجد من يبغض الحرب ويمقتها ويتشاءم منها خيفة أن تقضي على الحضارة الانسانية العريقة التي ساهمت في بناء صرحها الأمم كافة ، وتطمس في الانسان الشعور باحترام وتقدير حياة نظرائه من البشر ، وتجعل الناس يعيشون في المجتمع متنابذين متباغضين ، استحكمت بينهم أسباب العداء ، واستبدت الأحقاد والضغائن بعواطفهم وأفكارهم ، ويعتبروها جنوناً ينتاب الشعوب ، كل بضع سنوات ، فتقذف الى الميادين ، في البر والبحر والجو ، خيرة أبنائها ، وأكثرهم شجاعة ، وأوفرهم قوة ، وأعظمهم إحساساً بالواجب والنظام والطاعة ، دون أن تحسب حساباً للخسائر التي تنجم عنها ، الناجمة عن تدمير مرافق الحياة ، ومصرع الموهوبين والعباقرة من الجنود ، ويسخر من يتشدقون قائلين ان الحروب تثار لصيانة المبادىء والمثل العليا والحق المطلق ، ولولا هذه الاعتبارات لما نشبت حروب ، ولا أزهقت أرواح ، ولا حلت خسائر بأحد ، ويحاصر هذا النفر من المفكرين أسف عظيم عندما يرون الناس يؤمنون بأولئك الدجالين الذين يروجون هذه الأكاذيب ، ويدافعون عنها بحرارة ، حتى تغلي حيلتهم على الكثرة الساحقة من البشر

زد إلى ذلك ان الحرب بما يلازمها من أخطار جمة ناتجة عن الموت بالسلاح أو الموت جوعاً ، تصرف الانسان الموهوب عن الحياة الفكرية الهادئة ، وتهوي به من الأحوال التي يحلو له أن يحلق فيها إلى درجة الحيوان الأعجم الذي لا همّ له إلا أن يشبع بطنه ويروي ظمأه ويتدثر من المطر اذا ما داهمه بغية التمكن من الاستمرار في قيد الحياة . وإن من الضرر بالغة ما بلغت عظمته وأبهته ، يعادل الضحايا البريئة التي أزهقها الواجب وانتدبت الى الجبهة

فقضت نحبها ولم تنل بعض الانسانية ، من زمن لآخر ، أن تقف من العمل الهادىء المثمر ، وتوقع حياة السرور والمرح والراحة ، والبيت والأحباب والحقل ، وكل ما تعشقه النفس الراضية المطمئنة . وما من ناحية من جميع النظم الاجتماعية ، الخلقية والاقتصادية والأدبية والسياسية ، تبقى بمعزل عن أثر الحرب . وإن جميع أسس الحياة ، من حرية وفكر وعمل ونظام وما لا يحصى من الأعمال والقضايا المتشابكة المتنوعة ، تصاب بهزة عنيفة تبعدها عن مجال الاستقرار والطمأنينة . ولئن كانت الحرب تستنزف النشاط الإنساني بأسره ، فإن للانسان مندوحة عنها ، وذلك بما توفره له الحياة في كل آونة من مشاريع اقتصادية وصحية وأدبية بحاجة إلى انجاز أو اتقان . وإن السلام الذي تنشده النفوس الرضية الصالحة ، لن ينفك عن الحرب كما يعقب النهار الليل ، والصفاء الكدر ، والكآبة العاصفة .

وهناك فريق آخر يرى أن الحرب ناموس طبيعي ، وسليقة إنسانية موروثة ، ومنّة ترتكز عليها دعائم الحياة ، وأن كل ما يحل بالبشر من خسائر لا يضاهي أو لا يقاس بالفضائل التي تنجم عن الحرب . وأن الطبيعة في عرفهم تأبى سلطة الضعفاء وتنشد دائماً سيادة العنصر القوي ، وإنها تبتهج بالحرب وتسر للموت وتحسب ذلك دليلاً على كمون شرارة الحياة متأججة قوية في الإنسان ككمون النار في الحجر . وما من شعب يؤثر الراحة على التعب ، والسلام على الحرب ، إلا كان ذلك نذير الانحطاط والاقراض والفناء . وأن الانسان في فراره يستشعر فرحاً لا يوصف إذا ما نابت اليه غرائزه العريقة في القدم وهبت من مكامنها عند وقوع الخطر ، فانصرف يصارع الموت الذي يراه متجسداً في إنسان آخر على صورته ومثاله . وليس السلام الدائم الذي تنشده النفوس الباسمة الضعيفة إلا محاولة أنيسة ترمي الى تجريد الانسان من السجايا الشريفة الفاضلة . وما من إنسان أوتي نصيباً من الذكاء والنباهة ، يحاول أن ينكر أثر الحرب في خلق الفضائل النبيلة التي تتسم بالصلابة والقوة والحيوية ، كالشجاعة والاقدام والتضحية وإيثار الأعمال التي تذهب مذهب الأساطير . فهذه السجايا لا يتدرع لها التفتح والنمو والازدهار إلا في بيئة تشهد الحروب آناً بعد آن وتبلوها وتتذوق حلوها ومرها وخيرها وشرها . وأن العناية الإلهية التي تكلؤنا بعطفها لا تني تتمنى أن لا تنفك الحروب تنشب لأنها تساعد على ولادتنا ولادة جديدة ، ولأنها تجرف ما يترسب في أعماقنا من الأخلاق المتصفة بالرخاوة والجبن والخبث والمكر . . . وما هبت ريحها على أمة من الأمم إلا جمعت شمل أبنائها بعد تفرقهم ، وهدت أزر العصبية القومية بعد تفسخها ، ورفعت الناس فوق مستوى المطامع الصغيرة والأمور التافهة التي

ألفوها طوال زمن السلام وبالجملة فان الحرب نزعة كائنة فعلاً في النفوس البشرية ، ملازمة للانسانية لا تفارقها ، كما أن الظل لا يفارق الجسم .

* * *

ليست الحرب حدثاً حديثاً في حياة الانسان وغير الانسان من نبات وحيوان . فقد وجدت منذ أن شاعت الحياة في الكون ، ولما تزل ناشبة حتى يوم الناس هذا . فالنباتات التي تذبل ثم تموت لا تحصى ، لأن نباتات أخرى طغت عليها وامتصت مأونتها وأهلكتها . ونرى حيوانات جهزتها الطبيعة بكافة أساليب الفتك . من ظفر وناب ، تفتك بحيوانات أخرى لا سلاح لديها يدفع عنها الشرور . فها هي ذي الأرض تذخر بالحشرات الكاسرة والزواحف الكاسرة والطيور الكاسرة والحيوانات الكاسرة ، والأسماك التي تسبح وتعيش في الماء كاسرة . ومن خصائص هذه الحيوانات المفترسة إنها لا تتلف ما لا يفيدها في تغذية جسمها وحفظ ذاتها من الفناء . أما الانسان فانه يقتل ليقتات ويتدثر ويتزين ودفاعاً عن نفسه وصون جسمه من الأذى ، وليتعلم ويلهو ويقتل أخاه الانسان كي يحفظ من التعدي ما يملك من عرض أو مال أو ملك .

فهي الحرب في جوهرها عادة مألوفة وسليقة موروثة في الانسان ؟ إن الحرب تمتد أصولها في نفس الانسان إلى أعماق سحيقة ومتأصلة كأعظم الغرائز التي لا فكاك له من التأثر بها والاستجابة لدواعيها، وإن التحليل الديني والتحليل الاجتماعي (البيولوجي) يتفقان على هذا الرأي. فقد بدأ النزاع بين البشر عند ما كان عددهم لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة . فمنذ ذلك الحين والأرض ما برحت متعطشة إلى الدماء . واذا نظرنا على ضوء التحليل الثاني — البيولوجي — نلاحظ أن الانسان الأول عاش في بيئة مفعمة بالأعداء، كتب عليه أن يصارعها ويقضي عليها كي يستتب له الأمر ويجد إلى البقاء سبيلاً ويحظى براحة الجسم وطمأنينة البال . عليه أن يسعى جاهداً كي يقي جسمه العوامل الطبيعية من حر وبرد ، ويصارع الحيوانات المفترسة التي تقضي عليه إن لم يقض عليها ، ويقف وجهاً لوجه أمام أبناء جنسه عند ما تصطدم الرغبات . وكان مجال النزاع لا يتعدى دائرة مطالب الجسم الأولية كالغذاء والمأوى الصالح والرفيقة التي تدفعه لحيازتها والاستمتاع بها قوى مجهولة عنيفة . فالحرب إذاً فرضت على الانسان البدائي فرضاً وتعتبر سبباً جوهرياً أساسياً للبقاء حيّاً .

والدليل على تأصل نزعة الحرب في الانسان ، وعمق جذورها في مطاوي نفسه ، وتغلغلها تأهبه الدائم لخوض غمارها ، واستبساله في ميادينها ، واندفاعه لتأييدها ، والحض عليها ،

وبذلك تمتلئ النفس طمأنينة في ساحاتها ، ولا عبرة بما يقول بعد ان تضع أوزارها ، ويكتب له أن يعود لبيته وأهله سليماً معافىً . ما أكثر الذين ينتقدون كل عمل تقوم به الحكومة ، وكل نظام تنوي السير عليه . وكل تجديد تريد أن تدخله في جهازها لتصلح أمور الناس ، وما أقل ، لا بل ما أندر ، الذين يخرجون على أوامر السلطة ، ويتخلفون عن استجابة ندائها عندما تعلن حرب . حينئذ تدب النخوة في النفوس ، وتفور الدماء في العروق ، ويسري النشاط في الأجسام . والرجل لن يحاول أن يقبط الهم ، ويذر بذور الاحجام عن اقتحام الأهوال ، ويذكّر بالعائلة من زوج وولد ، ويقنعهم عنها بإيثار الراحة والطمأنينة والحياة على المتاعب والقلق والموت : ومن يجرؤ حينئذٍ أن يقول الطريقة فضيلة والنبات جنون ؟ ! ! .

ولو تأملنا أعلام الدول قاطبة ، لرأينا أنها لا تخلو من اللون الأحمر . والى م يرمز اللون الأحمر ؟ إلى الدم . فكأنّ الأمم تعترف في أعماقها أن الحرب حالة لازمة ، وانها لا تستمر وتتقدم إلاّ اذا ظلت هذه الجذوة متأججة متقدة في النفوس وإن دفعت ثمن هذه المتيقدة دماء من أجسام أبنائها وأبناء غيرها . ولنقرأ الأناشيد الوطنية : كم تتكرر لفظة حرب وكم تعاد لفظة دم ؟ ! وهل يقصد من هذا الترداد والتكرار إلاّ إثارة النخوة وإلهاب النفوس وإيقاظ ما كمن من غرائز القتل والفتك ؟ ! .

هل تعتبر الحرب مظهراً جليًّا من مظاهر إنكار الذات ، أو تعبيراً فذًّا عنيفاً عن التمسك بأهداب الذات ؟ لئن تكن الحرب صليقة موروثة في الانسان ، فحب الحياة أقوى الغرائز قاطبة . ويستحيل أن نتصور إنساناً سليم الاعصاب ، سليم العقل والبدن ، يخطر له أن يوازن يوماً بين الموت والحياة ، وأيهما أثمن في نظره . وهو لا يخوض غمار حرب ، بالغة ما بلغت هدتها وفظاعتها ، إلاّ عندما يؤمن إيماناً لا يتزعزع بأنه مستهدف لخطر عظيم غير محمود العاقبة . وليس الفرار غير ضرب من التمسك القوي بالحياة . وإنما يلجأ اليه من يوقن أن أعصابه سوف تخونه في ساعة الشدة وليس لديه ذخيرة كافية من قوة النفس والعقل على مجابهة الطوارىء . ورب قائل يقول : ما بال الذين حكم عليهم بالاعدام يتقدمون بملء ارادتهم ، ويوضع الحبل في أعناقهم دون أن يبدو جزعاً ؟ لماذا لم يحاولوا التملص من قبضة الموت وهم في ساحة الموت ؟ لماذا لم يدفعهم حب الحياة الى التمرد على نصوص القانون ؟ ان عقولهم لم تتقبل الموت مختارين كما يبدو لنا ، بل إن الذي قادهم أن الموت هو الرغبة في حياة فاضلة ينعمون فيها المناقب والصدق . وإنهم ما انخرطوا وسطاً كي يدفعوا الموت عن نفوسهم . وما اتخاذ المحامين إلاّ وصيلة جديدة مبتكرة يلجأ إليها المجرم علّها تنقذه من

براثن الموت . إذ أنه يؤمن ان السلاح لا خير فيه إذا ما فكر أن يشهره في وجه الدولة التي صبت عليه كل ما تملك من قوة السلاح ، وقوة القانون ، وقوة الرأي العام .

* * *

والحروب في العصور القديمة تختلف الاختلاف كله عن الحروب التي وقعت في هذا القرن أو التي سوف تقع في السنين المقبلة . ذلك ان الحروب القديمة كانت محدودة من جميع النواحي وكانة المظاهر، هي محدودة بالجنود الذين يخوضون غمارها ، ومحدودة بالبقعة التي تدور فيها المعارك ويقرر فيها مصير أحد الجيشين ، ومحدودة بالخسائر المادية والروحية ، ومحدودة بالزمن الذي تستغرقه . أما الحروب في هذا القرن ، وخاصة الحرب الأخيرة ، فلا يعرف معرفة تامة عدد الذين اشتركوا فيها ، مباشرة أو مداورة ، وكم بلغ عدد الرجال والنساء الذين ساهموا فيها ، ولم تدر رحاها في بقعة محدودة من الكرة الأرضية بل شملتها بأسرها ، برّها وبحرها وجوّها ، ولا يستطيع أي كان أن يقدر الخسائر التي منيت بها البشرية طيلة هذه المدة ، إذ لم تقتصر الخسارة على الأرواح ، بل حلت في جميع مرافق الحياة من صناعة وتجارة وزراعة ، وشملت جميع أنواع المواصلات من برية وبحرية وجوية ، وصاهمت فيها كل قوى الأمة ، من مادية وروحية وفكرية ، وكثيراً ما نشبت حروب في الأزمنة القديمة انحصرت ضمن البلدين المتحاربين ولم يتجاوز صداها البلدان المجاورة . أما اليوم فيتعذر ، لا بل يستحيل ، حصر الخلاف أو كتمانه ، فسرعان ما ينتشر نبؤه في جميع أرجاء المعمورة .

* * *

ويقيني أن للحروب القديمة أثراً في النفوس أقوى من الأثر الذي تخلفه الحروب الحديثة في نفس المحارب . لا لأن تلك أعظم وأفظع من هذه ، بل لأنها توفر للعين مشاهد مؤلمة ، فظيعة ، مقلة ، ليس من طبيعة الحرب الحديثة إيجادها ، وذلك يعود الى نوع الأسلحة واختلافها عن الزمن القديم .

فالحرب الحديثة لا تشبع غريزة الضراوة الكامنة في الانسان ، لأنه لا يرى أجساماً تتلاحم وتتناحر وتتصارع وتتقاتل وتتساقط ، ولا يرى الأرواح تزهق ، والدماء تراق فيشعر بقشعريرة وهول وذعر مما رأى رأي العين . فالمحارب الذي يشك بالرمح صدر خصمه ويرديه قتيلاً ، يرى مشهداً لن ينساه أبداً ، ويقتلع كثيراً من الطبار الذي يلقي القنابل

من ارتفاع شاهق على مدينة دون أن يرى بوضوح ما دمر من دور عامرة ، وما أزهق من أرواح بريئة وغير بريئة ومحاربة وآمنة. ومع كل ما امتازت به الحروب القديمة من الفظاعة والوحشية ، وما اشتهرت به الحروب الحديثة من الاتساع والشمول ووفرة الخراب وكثرة الموتى ، ورغم ما أكتوت به البشرية من حروب لا يحصيها عد ، فهل كانت الحروب ، قديمها وحديثها عاملاً فعالاً في تهذيب الجنس البشري ؟

* * *

إن التهذيب يقوم على مبادىء صحيحة تستهدف إصلاح الفرد والجماعة وتكييف سلوكهما وفق هذه المبادىء . فهل جاءتنا حرب ما ، بدون استثناء ، بمبادىء ترمي الى تهذيب المرء وتطهير نفسه من أدران البغض والحسد والخبث ؟ في الواقع انه ما من حرب نشبت قديماً أو حديثاً تجاوزت غايتها الشؤون السياسية والعسكرية . أما الحروب التي تثار في سبيل إقرار مبادىء ، فقلما تعرفها الانسانية . والنبيه النبيه من لا يؤخذ بأساليب الدعاية القائمة على الكذب والايهام والمغالاة في تصوير الأخطار المحدقة كل ذلك كي تستثير أفراد الأمة ويصبحوا أداة طيعة في يد الدولة تحركهم في ميادين القتال كما يحرك لاعب الشطرنج أحجاره . ولم يفُت لنا أن نلفت الخطب والأقوال التي كان يوجهها رؤساء الحكومات الى الشعوب التي يحكمونها ، يذكرونها بالواجب الملقى على عاتقها إزاء الأمة خاصة وتجاه الانسانية عامة، وأنها حامية المدنية وأسمى المبادىء والمثل ، وأن العدو البربري إذا ما انتصر ، فسوف يقوّض أركان الحضارة ويجعلها أثراً بعد عين !!! . وهل وعظتنا الحرب بأهوالها وأوبئتها ومجاعاتها ووحشيتها ، أكثر مما وعظتنا الديانات والفلسفات والأخلاق ؟ لا أظن . ان الحرب بويلاتها التي لا تحصى ولا توصف تولد في قلوبنا الخوف والحذر من حروب جديدة تكون أشد هولاً مما سلف ، لكنها لا تقوى على انتزاع ما يخامر النفوس من البغضاء والحقد والحسد والطمع وكافة النزعات الشريرة التي تنبعث عنها الحرب . فهذه الكتل البشرية ، التي تدعوها حيوانات ، التي تتحرك وتسعى لإبادة بعضها بعضاً ، لا تخضع للقادة أكثر مما تخضع للمطامع والغرائز الوحشية المسيطرة على نفس كل قائد وكل جندي . وعند ما نؤمن ونقول إن الحرب قادرة على ابطال الحرب ، فكأننا نعني ونؤمن بافلاس الدين ، وكل قيم الاخلاقية تعد بمثابة صدى على جانبي الطريق يسترشد بها الناس الذين يسيرون ميممين الحياة الفاضلة التي يخيم السلام الأبدي في ربوعها ، ولماذا لم تعمل الحروب التي نشبت في الأزمنة الغابرة على تهذيب الشعوب التي منيت بويلاتها واصطلت بنيرانها ؟ ومن الثابت أن الشعوب التي

كتبت تاريخها بالدمع والدم ، هي التي تأصلت وترعرعت النزعة العسكرية في قلوب أبنائها . ولم تعد الحرب في نظرهم نكبة ، بل فرصة سانحة لتوحيد الصفوف ودعم الاحقاد ودعم العصبية القومية التي أصيبت بالاضمحلال والتراخي في زمن السلم وليست فترة السلم الا فرصة تستجم بها الشعوب وتتأهب للقيام بحرب تالية . ومن جهة أخرى فاننا لا نستطيع أن نصم الانسان باللامبالاة التامة ، ونقرر أن الخبر تمر به ولا يعتبر ، وتحدث الاحداث ولا يتعظ ، ويرى الدمار والدماء والثكل واليتم والمجاعات والأوبئة ولا يكترث .

* * *

مما لا مشاحة فيه أن المدنية الحديثة التي ورثت عن الماضي حضارته وديانته وفلسفاته وعلومه ، ومثلها جميعها ونحتها وجلت غوامضها ، قد عجزت عن استئصال النزعة الحربية من قلب الانسان ، لكنها هذبت مشاعره ، وقلمت أظافر مطامعه ، وكسرت حدة ضراوته . ذلك بأن الحياة الاجتماعية وما تعتمد عليه من قوات أمن داخلي ، ومحاكم على اختلاف درجاتها وأنواعها ، وقوانين متنوعة تشمل سائر نواحي النشاط الانساني ، قد وقته شر الناس ، وسهرت على راحته وسلامته في الليل والنهار ، في المدن وخارجها . والبيوت التي يقطنها تشتمل على معظم مرافق الحياة ، وتوفر له كثيراً من أسباب الراحة ، كفته مؤونة مراعاة العناصر الطبيعية ، واكتظاظ المساكن ، واتساع الشوارع في المدن وانارتها بالغاز أو بالكهرباء ، بثت اطمأنينة في نفسه وجعلته يأمن من كل شر يفاجئه .

* * *

ولن تصبح الحرب وازعاً ما دام المؤرخون يؤرخونها على النحو الذي نشاهد ، وما دام المربون في المعاهد والكتّاب في المؤلفات والصحف والمجلات ، لا يفكرون يلقحون عقول الناشئة والقراء بالجنون القومي والمطامع القومية وكره كل ما هو أجنبي ، صالحاً كان أم طالحاً ، وأن المجد العسكري لا يضاهيه مجد في الدنيا . ولو شئنا توجيهاً صالحاً لنشأة جيل يشعر شعوراً إنسانياً ، لوصفنا هول الحروب وفظائعها ، وتحدثنا باسهاب عن الملايين من الشبان الذين ماتوا في ميادين الحروب وتركوا في العراء فريسة لطيور الفضاء وكواسر الفيافي ووحوش القرى . ووصفنا وصفاً دقيقاً ما أصاب المدن من الخراب ، والمرافق العامة من الدمار ، وما حل بالبشر من الأوبئة والضيق والفقر . وحلل الكتب الروائيون ووصفوا لنا الاسر المنكوبة وحدثونا عن بؤسها وحزنها ! ! ! .

إن القوانين والسجون والعقوبات قد قللت كثيراً من حوادث الإجرام في العالم ، لكنها لم تقف على استئصال شأفة روح الاجرامية . فترى ما أنس المجرمون طريقاً تهاوناً واستهتاراً في إدارة الدولة ، بدون أن يقاسوا الأذى بميزم . وهكذا فالمعاهدات والمؤتمرات الدولية والاتفاقيات الاقتصادية والعسكرية . . . تستطيع أن تمنع نشوب الحرب مدة من الزمن ، لكن ليس الى الأبد . فإلام يحتاج البشر لقمع النزعة الحربية في الإنسان ؟

* * *

إن الحرب أزمة روحية قبل أن تكون أزمة اقتصادية أو عسكرية . فالناس لا يقتتلون الا بعد أن تكون خلت نفوسهم من المحبة والروح التعاونية والنزعة الصادقة للسلم . فالإيمان بالدور الذي تستطيع أن تضطلع به القنبلة الذرية في إبطال الحروب ، إنما هو سوف تكون بمثابة العصا السحرية القادرة على توطيد دعائم السلم الدائم ، إيمان فاسد . ذلك أننا نسلم بإفلاس الانسان من القوى الروحية والنزعة الانسانية المثالية ، وانه عنصر حيواني خالص لا تؤثر فيه الا القوى المادية الغاشمة . وهب أصبح هذا السلاح الفتاك في متناول كافة الدول ، ألا يصبح عندئذ تعادل بينها في القوة ، فتعيش منكمشة ، حذرة متيقظة ، لا يفترها طرف عن مراقبة أعمال سواها . وهل يشعر بلذة النوم ذلك الذي يتوقع جميع اللص الى بيته بين دقيقة وأخرى ؟

إنني لا استطيع أن أتخيل عظم الحرقة التي يتكوى بها قلب أهميلاء النبي ، لأن نبوءته التي أطلقها منذ آلاف السنين لما تحقق . لقد رجا أن يرى الناس يطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل ، تستعمل في سبيل مقاصد شريفة في ظل الأمن والسلام ، فإذا بها أن يقول لو أطل من مكانه في هذا العصر فرأى الناس قد طبعوا كل سكة من مناجل ومحاريث وفؤوس . . . لا سيوفاً ورماحاً بل بنادق وقنابل ومدافع . . . وغيرها من آلات القتل وأسباب الدمار التي لم ترد قط من أشياء ولا خياله !

* * *

ليت شعري هل يكتب للبشرية في الزمن الآتي أن تسمع ملاك الرب يترنم قائلاً : « المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وفي الناس المسرة » .

صابت (سوريا) الياس يعقوب

ابـــني

إن مهدك الميمون يحنو ساي تمتدُّ رجاءً ، وينثنيها مشيبي فترتدُّ
رجاءٌ ويأسٌ ، حيرة كانت فيك ما كنتي ومن عجبٍ أني بالاثنين أعتد
أنا البحر ، لا أدري هل الجزر نافعي أم النفع أن يمتد من جانبي المد ؟
دعاك شبابي قبل أن يزمع النوى ولكن أراد الله أن يطول الرد
وجئت على شيبي فلم أدر هل أنا أبٌ لك ، يا حُلْم الأماني ، أم جدُّ ؟
بنيّ وشيبي ، هل سيضعف فيكما رجائي ، أم يقوى بضعفي ويشتد ؟
وهل منكما لي مُخْلِصٌ ، أم كلاكما عدوي ، الذي ما من صداقته بُدُّ ؟
وهل ما تراخى من ليالي ينتهي كما مرَّ ، أم يبقى منهن مُسْنَوَد ؟
بنيَّ ، حياتي ذات حدّ ، وإنما حياة الهوى الروحيّ ليس لها حد
بنيّ ، ألا اسمح لي فغيرك منهما بكاد إذا ناديتُه لمداً يفسد
وصاياي شيء واحدٌ ، فاحتفظ به ، ولا يغفلنْك اللهو عنه ولا الجد
بنائيَ بانائي ، فكن أنت طائري ومُدَّ لبانائي جناحاً ، هو الود

شاعر البرازيل

الكيمياء عند العرب

وجابر بن حيان

رأيت أن أطرق هذا البحث لأمرين : الأمر الأول أن أثبت للغرب اعتراف الغرب ، بفضل علماء العرب ، في تقدم علم الكيمياء . والأمر الثاني أن أخاطب قومي العرب فأقول : — إذا كان العربي ، فيما مضى من الزمان ، أمهر علماء الكيمياء في العالم ، فما الذي يمنعه من إرجاع هذا الفخر اليه مرة أخرى ؟

إن أبا موسى جابر بن حيان ليس بأقل قدراً من « دلتن » و « لفوازييه » و « بويل » و « اغستال » وغيرهم من العلماء ، فإن لم يكن أفضل منهم ، فهو مساوٍ لهم بلا جدال . أليس من الممكن أن يقوم في العرب رجال عظام يجارون السير إرنست رذرفورد والسير توماس والسير وليم بوب فيعيدون للعرب مجدهم الغابر في علم الكيمياء ؟ لم يك العربي بالمتطلي في التصور الكيمياوي بل كان المجلي ، وكان الأسبق ، وكان عليه المعول .

مهما تقدمت العلوم الطبيعية في هذين العصرين الأخيرين ، فإن الآراء الطبيعية وحدها ليست بكافية ، بل تحتاج الى مهارة وتدريب ، لأن كل تقدم في هذه العلوم ، يجب أن يكون ذا أساس متين ، ليُبنى عليه ومنه يتدرج الى الكمال . إذا علماء العرب ، وهم أصحاب الهمم العالية ، والغيرة والحمية ، أن يتفرغوا لدرس العلوم الطبيعية ، فعليهم أن يرجعوا إلى ما أخذه عنهم علماء الغرب ، فإذا ما نبغوا في هذه العلوم ، لما فيهم من الاستعداد العجيب ، شاهدنا مرة أخرى ، طلاب الغرب يقصدون جامعات العرب ، لدرس العلوم الطبيعية على أساتذتها الحقيقيين الأصليين .

لقد وُجد علم الكيمياء في أول ظهور الاسلام ، لأننا من الأحاديث الشريفة نعرف أن النبي (صلعم) قد اهتم بهذا العلم ، ويؤيد قولنا هذا ما جاء في خطبة البيان ، لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه . وسواء أكانت هذه الرواية صحيحة أم غير صحيحة ، فهي

تثبيت لعلاً أن المسلمين قد اهتموا بعلم الكيمياء في أول نشأتهم ، لا سيما بعد رسوخ قدمهم في مصر ، إذ أخذ علماء الاسلام في ذلك الحين يطلعون على أخبار اليونان ، وساعدهم على ذلك مدرسة الاسكندرية والمترجمون السوريون الذين نقلوا الكثير من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية ، وكذلك حرّان في العراق فقد أصبحت مركزَ العلوم منذ أيام الاسكندر الكبير ، ومهبط العلماء ، ومهوى أفئدة الحكماء .

درس المسلمون علوم قدماء المصريين في الكيمياء العملية ، وساعدهم ذلك الدرسُ على معرفة تحويل المعادن ، وصنع الزجاج ، وعمل الدّباغ ، وتركيب السموم والعقاقير : بيد أن ما قدروا أن يصلوا اليه من التقدم لم يك كافياً لجعل علم الكيمياء علماً طبيعيًّا ، إذ أنه في العلم الطبيعي تجب معرفة الآراء ودرس الطرق ومعرفة القوى العقلية فضلاً عن الحقائق التي لا متدوحة عنها : وغاية العلم الطبيعي أن نقف على عجائب العالم مما لا يتأتى إلاّ بالعلوم العملية .

أراد اليونان أن يحلوا هـذا اللغز عن طريق آخر ، إذ أن التجارُب كانت مجهولة لدى علمائهم ، مثل أفلاطون ، وسقراط ، وارسطوطاليس ، فهؤلاء لم يقم أحد منهم بعمل تجربة بسيطة واحدة . وقد حاول البعض منهم أن يشرح شيئاً عن العالم بواسطة العقل فقط ، من غير تحقيق عملي ، ولا أصول عامة يستند عليها . وقد كان حظ هـذه الطريقة كحظ أختها المصرية ، فلم تصادف نجاحاً لأن العلم الطبيعي لا يتولد إلاّ باتحاد الآراء العلمية مع المشاهدات العملية والتجارب في المختبر .

كان انتصار المسلمين كبيراً عند ما اكتشفوا هذا الاتحاد وأوجدوا علم الكيمياء على أساسه المتين الذي فتح الطريق للتقدم وأوجد العمل في هذا العلم . ولقد وجد المسلمون هذا النحو صعباً لأن علم الكيمياء في الاسكندرية كان مختصًّا بالسحر والالغاز والحيل . ولما كان للمسلمين ميزة لا تقدر قيمتها وهي دينهم الحنيف ، انقشعت أمامهم غيوم هذه الالغاز التي كانت قد استولت على عقول علماء المصريين واليونان واليونانيين وأصبحوا يرون العالم بوضوح وجلاء لا من وراء الغيم والضباب الذين كانا قد حجبا تصورات غيرهم من الأقوام قبلهم فخبطت أعمالهم وكانوا من الخاسرين .

إذا كانت الروايات الاسلامية في علم الكيمياء حقيقية ، فقد يرجع الفضل فيها لأبي

الأمويين خالد بن يزيد بن معاوية الذي أدخل هذا العلمَ في الاسلام . ولقد جاء في كتاب الفهرست لابن النديم أن خالداً بعد أن قطع الأمل من التبوء على عرش الخلافة انكبَّ على درس العلوم الطبيعية كل الانكباب . وكانت عنده كتبٌ يونانيةٌ لا تُعَدُّ ولا تحصى كلُّها تبحث عن علم الكيمياء والطِّب ، وقد ترجمها الى العربية فضلاً عن أن خالداً نفسه أخذ يصنف الكتب الكثيرة في علم الكيمياء التي كان أعظمُها شهراً . وإن هذا لعملٌ مجيدٌ خالدٌ من أعمال العرب . وقد ينسب الى خالد كثير من الاشعار المحفوظة للآن في أكبرِ مكاتب أوروبا ومصرَ والعراق ، إلاَّ أنه من الصعب البتَّ فيما إذا كان قد كتبها هو بنفسه أو كان قد كتبها غيره ونسبت إليه . وهي لا تفوق غيرها من الكتب إلاَّ أنها قد بسطت علم الكيمياء بسطاً وافياً ، هذا وقد تجلى فيها من الحماس ما جعل كلَّ من قرأها يميل الى درس علم الكيمياء والولوع به ، الأمرُ الذي يجعلنا نحترم الامير خالداً ونجلُّه ، لأن غيرتَه على تتبع العلوم الطبيعية قد حملت الكثيرين من الناس على الاقتداء به ، وقد قيل إن الإمامَ جعفر الصادق كان أحد الذين شُغفوا بهذا العلم مع أنه كان رجلاً منصرفاً الى أمور أخرى ، غيرَ أن ذلك لم يمنعه من أن يدرس علم الكيمياء . ومن المتفق عليه أنه هو الذي أرشد جابر بن حيان إلى طرق العلوم الطبيعية ، ولذلك أجَلَّ علماء الكيمياء المتأخرون جعفراً كلَّ الاجلال .

كان أبو موسى جابرُ بنُ حيان الكوفيُّ أكبرَ علماء الكيمياء في الاسلام ، وإنه ليُعد من كبار علماء الكيمياء في العالم ، ولا نعرف شيئاً عن مولده ولا عن نشأته وأول حياته ، إلاَّ أن بعض المحققين يجعلونه صابئيًّا من حَرَّان ، وقد أسلم . وكان له مختبر في الكوفة كما جاء في كتاب الفهرست . ونعرف من بعض كتبه أنه قضى شطراً كبيراً من عمره في بلاط هارون الرشيد في بغداد . واليك ما جاء في كتاب البرهان في أسرار علم الميزان : « الأستاذ الكبير جابر بن حيان بن عبد الله الكوفيُّ مولداً الأسديُّ قبيلة ، الطرسوسيُّ منشأً ، الصوفيُّ مذهباً ، أخذ عن جرميّ الحميريّ اليمني الذي كان من المعمرين . وترجمه جابرٌ بأنه بلغ من العمر أربعماية عام ، وكان مولدُه قبل الهجرة بأكثر من مائتي سنة حتى بلغ الى أيام هارون الرشيد ، بعد مماية وصبعين سنة من الهجرة ، رحمة الله عليه . ولما مرَّ جابر على جرمز من

صغره ، وبلغ في العلوم الى مقام كبير ، هاجر الى الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين عليهم السلام فسار بن جابرٌ إماماً واتصل بالبرامكة ، وجرّب لديهم كثيراً واتصلوا به الى ما بلغوا اليه من نتائج الحكمة ، وعلوّ الشأن ، والتمكين في الدولة ، والاعطاء الكثير الخارج عن الحد ، حتى ضربت باسم جعفر الدنانير برسم الصدقات ، زنة كل دينار منها مئة مثقال واتصل الاستاذ جابرٌ بواسطة جعفر الوزير بالخليفة الرشيد وصنف له كتاباً في الصناعة الشريفة ، وسماه كتاب الزهرة ، وضمنه الطرق القريبة فيما بين البراني والجواني بأسلوب طريف ، وأعمال بديعة . وبسبب جابر جلبت كتب اليونان من الروم الجلبة الثانية ، وتمكن في علوم الفلسفة حتى بلغت مصنفاته ما يزيد على ثلاثة آلاف كتاب ، وتوفي وله من العمر نيف وتسعون سنة ، وكان من أمره ما كان ، ورحمة الله عليه .

وفي مكان آخر يقول الجلدكي أن جابر بن حيان كان على اتصال تام مع البرامكة . ويذكر في كتابه الخواص أن جابراً شفى بنتاً أميرة تخص يحيى بن برمك . ومن أعماله التي وصلت الينا يظهر أنه كان رجلاً كثير الاطلاع ، ولم يك كيماويًّا فقط ، بل كان طبيباً وفيلسوفاً ، ورياضيًّا وطبيعيًّا ، وقد ألف كتباً جمة في مواضيع شتى . ويظهر أنه كان يعرف اليونانية وهذا من الممكن ، لأنه جاء من حران . وعلى كل حال ، فان من يقرأ كتب جابر يعجب من ذكائه ، وجلاء معانيه ، ولا يأمل القارىء أن يجد فيها ما هي عليه من المكانة العقلية عند علماء اليوم : فان ذلك وراثة أجيال طويلة ، ونتائج عن صبر وجلد ، وتفكير وعمل ، إلاّ أن المقابلة بين ذكاء جابر ومن أتى بعده واضحة بينة .

يتبعُ جابرٌ في فلسفته العامة خطوات الفيلسوف الكبير ارسطاليس إلاّ أنه تقدم عليه وبزه في علم الكيمياء ، وكان أول من بشر بعدم الاستغناء عن التجارب في العلوم الطبيعية . وفي كتابه الخواص الكبير نجد مئات من التجارب التي أجراها بنفسه وكثير من هذه التجارب موضح كل الوضوح حتى انه يمكن اجراؤها اليوم من اتباع تعليماته فقط . ويعود الفضل لجابر في اكتشاف المواد الكيمياوية الضرورية مثل ماء الخلال وروح الكبريت . ولقد تنبه أيضاً الى صعوبات الكيمياء في أعمال الحياة اليومية ، وفطن الى امكان ازالة اللون الأخضر من الزجاج بواسطة تذويبه مع المغنيسيا . وأكبر ما أكسب جابراً الشرف الجمع بين التجارب العملية والتصورات النظرية الكيمياوية على طريقة لم يسبقه اليها أحد

من قبل، وهو وجد النظرية بأن المعادن تتألف من الزئبق والكبريت، وهذه نظرية بعيدة جداً، ولقد فتحت الطريق بعد سنين عديدة أمام نظرية لافوازييه في الجزيئ التي أوجدها لفوّر واشتال. ولقد عرف جابر قيمة حمض النتراب التي أوجدها أوكاليس وديمقراطس، ويظهر انه فهمها أيضاً. لقد اعتقد جابر مثلما كان يعتقد قدماء علماء الكيمياء بتحويل المعادن، وظن انه اتمّ هذا العمل بنفسه، إلاّ أنه من المهم أن نلاحظ أن جابراً لم يترك لهذه العقيدة المجال لتسترلي على عقله فتسيح الفكرة الكبيرة في تقدمه ونجاحه، كما كانت الحالة مع من أتى بعده من الكيماويين.

إن أكثر كتب جابر لم نعرف بعد كل المعرفة أو كما يجب، فاذا كان العربي يريد أن يخدم أمته ويخدم العلم سعياً فما عليه إلاّ أن يبحث عن كتب جابر ويدوناته في علم الكيمياء وينشر تقريراً وافياً عن أعمال هذا الرجل العظيم ليطلع على ذلك علماء الكيمياء. ومما نعرفه عن جابر هو أنه كان رجلاً عظيماً وعالماً كبيراً. ومن أقواله: — « إن علماء الطبيعة لا يفرحون بغزارة المادة ولكنهم يبتهجون بمهارة طرقهم في التجارب. ومن أقواله أيضاً: أن ليس للنقل والسمع محل في علم الطبيعة ما لم يعضدها البرهان، أو بكلام آخر، إذا حقق القول البرهان فعند ذلك نقول إن النظرية حقة أو صحيحة.

لقد ترجمت أكثر أعمال جابر في القرون المتوسطة الى اللغة اللاتينية ولقد قيل عن بعض أعماله أنها أحسن ما صنعت يد الانسان في الآداب الكيماوية القديمة، ومن هذه المجامع الأعظم، وكتاب الاستيام، وكتاب التنابير، ولكن، وبالأسف لم تكتشف بعد هذه الكتب في اللغة العربية، ولذا نرى بعض علماء الأفرنج يشكون بانتسابها لجابر، إلاّ أن البعض منهم متأكدٌ بأنها من أعمال جابر رغماً عمّا غيّر فيها المترجمون والمؤولون. ولكي نتحقق من هذا القول يجب علينا أن نبحث بكل جد ونشاط عن هذه الأعمال في اللغة العربية — وإن هذا العمل لمن أكبر الأعمال في تاريخ الكيمياء. فيجب علينا نحن العرب أن نحلّ هذه المعضلة قبل أبناء الغرب لأن في مكاتبنا الأوف من الكتب المطبوعة والمخطوطة التي لا يعرفُ عنها علماء الغرب شيئاً. فاذا بحثنا البحث الضروري فإننا سنجد اكتشافات هامة، ولربما عثرنا على كتب جابر التي ذكرتها آنفاً، وبهذا العمل نقوم بخدمة كبيرة نحو تاريخ علم الكيمياء، ونُظهرُ للعالم فضلَ العرب، ونساعد على تثبيت الشرف الذي استحقه جابر بن حيان على أعماله الكبيرة.

شريف الشاطبي

السنة القمرية

وشهورها

من المعلوم أن الأرض تدور حول الشمس وتتم دورتها في ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات وسبع وأربعين دقيقة، وان القمر يدور حول الأرض في ٣٥٤ يوماً وثماني ساعات ، فتكون السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام وواحد وعشرين ساعة وسطيًا .

لقد لاحظ العرب قبل الاسلام وهم يعيشون تحت سماء صافية لا تتخللها الغيوم طول السنة إلاّ في أيام الشتاء القليلة طلوع القمر وأفوله ، والتطورات التي تطرأ على شكله وعلى أوقات طلوعه وأفوله ، درسوا ذلك واعتبروه مقياساً للزمن عندهم ، ثم قسموا سنتهم اثني عشر شهراً قمريًا دون أن يروا حاجة لدرس أيام الشمس وأسابيعها وشهورها ودون أن يتنبهوا إلى فرق الأحد عشر يوماً من سنتي القمر والشمس . وظلّ هذا الخطأ قائماً على مرّ العصور الى ان انتقل العرب من عالم البداوة الى دنيا الحضارة وأخذوا يزرعون الأرض ويمارسون الاعمال التجارية . فأقاموا الأسواق في أماكن مختلفة لبيع منتوجاتهم وشراء ما يحتاجون من آلات وأدوات وملابس .

وقد نتج عن انصراف القوم الى الاعمال الزراعية والتجارية أن راجت عادة تعاطي الأوراق والصكوك التجارية فيما بينهم وتاريخ تلك الأوراق وحينئذٍ انتهوا الى ذلك الفرق بين السنتين الشمسية والقمرية المتقدم ذكره . وكانت أهم سوق لهم تلك التي يقيمونها في (عكاظ) وهو مكان واقع بين مدينتي نخلة والطائف وموعدها من أول شهر ذي القعدة حتى العشرين منه. ثم تنتقل الحركة التجارية الى سوق (مَجَنَّة) بمر ظهران حيث تبقى قائمة حتى نهاية ذي القعدة ، وتأتي من بعدها سوق (مجاز) خلف جبل عرفات حتى اليوم الثامن من ذي الحجة .وفي التاسع منه وهو يوم التروية، يرحل التجار والحجاج الى جبل عرفات ليؤدوا فريضة الحج .

لقد كان العرب في أسواقهم هذه يبيعون ويشترون ، فاذا أقبل الماء وتقطعت الحركة التجارية اجتمعوا في الشتاء الماء من تلك الأسواق ليستمعوا الى القصائد البليغة التي كان يلقيها عليهم شعراء العرب الذين كانوا يفدون من شتى الأنحاء ليتشرفوا بمحادثة قرائحهم . وهناك ينال المجلي والمبرز من استحقه من تقريظ وإعجاب واحترام . ولقد خصوا أبلغ القصائد بالشرف الرفيع فعلقوها على جدران الكعبة بيت آلهتهم المقدس . وهكذا فان العرب رغم أبناء الصحراء ومواطن الشعور الحي الفياض وخيال الرائع لم يقنعوا حتى جيز الصحراهم لأعمالهم التجارية إقامة المحفلات الأدبية ليشنفوا آذانهم بسماع القصائد البليغة ويحتفلوا بالمبرزين من فحول شعرائهم ويكرموا الأدب الرفيع بإغداق النعم والجوائز الثمينة على الممتازين من بينهم .

وحينما كانت تلك الأسواق تقام في أوقاتها المعينة من السنة القمرية لاحظ ذوو الحل والعقد من العرب أن حالة الطقس كانت تختلف في مختلف المواسم فتكون تارة صيفاً وأخرى شتاء أو ربيعاً أو خريفاً . ولاحظوا أيضاً أسماء شهور السنة عندهم لا تتطابق دائماً على مسماها . فشهر ربيع مثلاً لم يعد يصادف فصل الربيع . ثم تبين لديهم أن كل ٣٣ سنة قمرية كانت تساوي ٣٢ سنة شمسية . ومنها أنهم توغلوا كثيراً في الشهور التجارية . فلقد رأوا من الضروري ملافاة هذا التقهقر من الزمن . وكان الحل بينهم أن يعود يترب وما جاورها — ومنهم قرية كما هي عند العرب — يتبعون طريقة خاصة كانوا تلقوها من الكلدانيين وهي إضافة بضعة أيام لتكمل سنة قمرية ليتمكنوا من ضبط وتحديد أيام الأعياد عندهم . ومنها عيد النصح الذي يعادف في يوم بدر كامل بعد أن تتساوى الليل والنهار في بدء فصل الربيع . وحين اطلع العرب على تلك الطريقة استحسنوها وأخذوا يمارسونها على أشكال مختلفة ، فتارة يضيفون شهراً واحداً الى سنتهم القمرية بعد كل ثلاث سنوات ، وأخرى بضعة أشهر لكل ١٩ سنة انقضت أو تسعة أشهر بعد مضي ٢٤ سنة قمرية . وهكذا أمكنهم أن يحولوا دون حلول أشهرهم بفكر تتوالى فيه الاختلافات الموسمية .

* * *

وعبر العرب عن هذه الاضافة بالنسيء أو الكبس كما قال بعض المفسرين . إلا أن ابن

هشام قال في سيرته حين بحث عن النَّسَّاء بأنهم ينسئون الشهور في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون آخر بدل شهر من أشهر الحل . وقد نزلت الآية الشريفة في هذا وهي (إنما النسيء زيادةٌ في الكفر يُضلُّ به الذين كفروا يُحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرّم الله الآية) . وقد فسر بعضهم هذه الآية فقال :

لقد كانت الأشهر المحرمة معروفة عند العرب فلما دعتهم الحاجة وهي هن الحروب فيما بينهم والقيام بالغارات الى احلال بعضها أرادوا أن يتأوّلوا وان يكتفوا بعدد تلك الأشهر دون التقيد بالأسماء فأحلوا أحد الأشهر تمشياً مع حاجتهم ثم حرموه في عام آخر حينما لم يروا هنالك من حاجة للتحليل .

وقد فسر آخرون النسيء بالكبس وهو بذل عناية خاصّة في اضافة عدد كاف من الأيام في آخر كل سنة قمرية ليكون هنالك ترتيب ثابت لا يتغير يجعل الأشهر القمرية متساوية مع حالة الطقس في الأشهر الشمسية .

* * *

ولكل شهر من الأشهر العربية اسمان مختلفان الأول منهما وضعه العرب العاربة . والثاني استعمله العرب المستعربة أما أشهر العرب العاربة فهي :

مؤتمر ، ناجر ، حيوان أو بُصان ، رُتّى ، إيّده ، الأصم ، عادل ، ناطل ، واغل ، وَرنَة ، بُرَك . واليك الآن أشهر العرب المستعربة :

المحرم ، صفر ، الربيعان ، الجماديان ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذي القعدة ، ذي الحجة .

وقد قيل إنما وضع العرب هذه الأسماء لاتفاق حالات كانت وقعت في كل شهر فسمي الشهر بها عند ابتداء الوضع . فسموا المحرّم محرماً لأنهم كانوا أغاروا فيه فلم ينجحوا فحرموا القتال فيه وسمّوه محرّماً ، وسمّوا صفراً ليصفر بيوتهم فيه منهم عند خروجهم الى الغارات . وقيل لأنهم كانوا يغيرون على (الصَّفَريّة) وهي بلاد في جزيرتهم ، وشهرا ربيع لأنهم كانوا يخصبون فيهما بما أصابوا في صفر . والربيع عندهم هو الخصب . والجماديان من

جمد الماء لأن الوقت الذي مُنيا فيه بهذه التسمية كان الماء جامداً فيه لبرده . ورجب لتعظيمهم له . والترجيب هو التعظيم . وقيل لأنه وسط السنة فهو مشتق من الرواجب وهي أنامل الأصبع الوسطى . وقيل أن العود رجب النبات فيه أي أخرجه فسمي بذلك ، وكذلك تشعب العود في الشهر الذي يليه فسمي شعبان وقيل سمي بذلك لتشعبهم فيه للغارات . وسمي رمضان أي شهر الحر مشتق من الرمضاء ، وشوال من شالت الإبل أذنابها اذا حالت ، أو من شال يشول اذا ارتفع . وذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال ، إذ هو من الأشهر الحرم وذو الحجة لأن الحج اتفق فيه فسمي به .

* * *

واتخذ المسلمون منذ العهد العمري الهجرة النبوية مبدأ لتاريخهم وقد ذكر الطبري في الجزء الثاني من تاريخه كيفية ذلك فقال : « كان رفع الى عمر صك محله في شعبان . فقال أي شعبان ؟ هل هو شهر السنة الآتية أو الذي نحن فيه . ثم قال لاصحاب رسول الله : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه : فقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الروم فقيل انهم يكتبون من عهد ذي القرنين وهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الفرس . فقيل أن الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله من السنين . فأجمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتب التاريخ من هجرة رسول الله » .

هذا ما ذكره الطبري عن مبدء التاريخ الهجري . والعرب المسلمون شعروا بحاجة ماسة الى وضع مبدء عام لتاريخ أوقاتهم وصكاتيبهم الرسمية وسجلات وقوطاتهم الحربية حينما انتشروا في بلاد الشرق الأدنى ، وأخذوا يحكمون أمماً لها مدنياتها وتقاليدها وتواريخها . وقبل هذه الفتوحات لم يكونوا يشعرون بتلك الحاجة نظراً لما كان يسود بينهم من البساطة في حياتهم الاجتماعية . ويقول الطبري انهم لم يباشروا بتاريخ وقائعهم وضبط حوادثهم قبل الاسلام الا لمدة لا تتجاوز الجيل الواحد . ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن المسلمون قد بلغوا من التوسع الاجتماعي ما يجعلهم يشعرون بقيمة التأريخ الرسمي . وكان نظام الحكم النبوي عندهم بسيطاً ، ولا يحتاج الى اتخاذ المالفات والى حفظ المستندات والى

ترقيم المكاتيب كما هي الحالة في الحكومات التي تكونت فيما بعد. إذ أن وظائف الحكومة النبوية كانت قليلة جداً. والأوامر النبوية كانت تعطى شفوياً فتنفذ حالاً. وقد ظلت أمور الدولة الفتية سائرة على هذا المنوال الى أن انتشر العرب في سوريا ومصر والعراق حيث حلوا محل الأعاجم فشعروا حينئذ بضرورة التاريخ حينما باشروا بجمع الضرائب وبتوزيع القوائم وتخميس الرواتب للمجاهدين. وبما انهم حديثو العهد بتلك الأمور المعقدة التي كانت تحتاج الى خبرة ومراس، فانهم رأوا من المناسب أن يستبقوا موظفي تلك البلاد القدماء في مراكزهم ليقوموا بأعمال التسجيل والضبط والتوزيع وقيد وارد الدولة ونفقاتها.

وانصرف أولئك الموظفون الى أداء واجباتهم بالطرق التي كانوا ألفوها فاستمروا على تأريخ أوراقهم وسجلاتهم ومكاتيبهم بتواريخ العهد البائد. واستخدم موظفو العراق التقويم الساساني وموظفو سوريا ومصر التقويم البيزنطي. وهكذا أخذت الأوراق الرسمية ترد الى العاصمة الاسلامية حاملة تواريخ مختلفة لا تتلاءم مع تقاليد العرب وعاداتهم. وهذا ما حمل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب على اتخاذ مبدء للتاريخ يتناسب مع تقاليد العرب المسلمين ويدفع حاجتهم ويطمئن ميولهم القومية والدينية.

* * *

لقد كان من المعقول حين فكر عمر باتخاذ مبدء للتاريخ أن يقترح عليه اختيار اليوم الذي ولد فيه سيد الأنبياء أو اليوم الذي بعث فيه لهداية الناس الى ديانة الحق والعدل نظراً لما لهذين اليومين من المكانة الممتازة في حياة بعض الناشئة المسلمة. إلاّ أن القوم اختاروا يوم الهجرة مبدأ لتقويمهم الجديد بدلاً من يومي المولد أو البعثة ويظهر أن هذا الاختيار والترجيح كان بناء على اختلاف المسلمين حينئذ في تعيين التواريخ الصحيحة لهذين اليومين العظيمين.

فلقد اختلف المؤرخون في العام الذي ولد فيه النبي فأكثرهم على انه في عام الفيل (٥٧٠ م). ويقول ابن عباس: إنه ولد يوم الفيل. ويقول آخرون إنه ولد قبل الفيل

بخمس عشرة سنة . ويذهب غير هؤلاء إلى أنه ولد بعد الفيل بأيام وبأشهر وبسنين يقدّرونها فوق ثلاثين سنة ويقدرها فوق تسعين .

واختلف المؤرخون كذلك في الشهر الذي ولد فيه وإن كانت كثرتهم على أنه ولد في شهر ربيع الأول، وقيل ولد في المحرم ، وقيل ولد في صفر، والبعض يرجح رجباً على حين يرجح آخرون شهر رمضان

كذلك اختلفوا في اليوم من الشهر الذي ولد فيه فقيل ولد لليلتين خلتا من ربيع الأول وقيل لثماني ليال ، وقيل لتسع . والجمهور على أنه ولد في ثاني عشر ربيع الأول . وهو قول ابن اسحاق وغيره وكذلك اختلف في الوقت الذي ولد فيه أكان نهاراً أم ليلاً . كما اختلف في مكان ولادته بمكة .

والمرجح أن الولادة كانت في ٢٠ أغسطوس سنة ٥٧٠ أي عام الفيل وكانت الولادة في دار جده عبد المطلب بمكة .

* * *

فما تقدم يفهم أنه كان يتعذر على عمر وأصحابه الاتفاق على يوم الولادة ، كما أنه تعذرت أيضاً على ما يظهر معرفة اليوم الذي بُعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم . سنة ٢٢ لقد جاء في الجزء الثاني صفحة ٢٥١ من تاريخ الطبراني ما يأتي :

أنزلت عليه النبوّة وهو ابن اربعين سنة فقُرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين كان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قُرن بنبوته جبريل عليه السلام فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكة ، وعشر سنين بالمدينة ، فلعل الذين قالوا : كان مقامه بمكة بعد الوحي عشراً عدّوا مقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي . وعدّ الذين قالوا : كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنبيء فيه . وكان اسرافيل المقرون به وهي السنون الثلاث التي لم يكن أُمِرَ فيها بإظهار الدعوة .

واجمع المسلمون وعلى رأسهم الخليفة الثاني عمر على اعتبار الهجرة النبوية مبدأ للتقويم الاسلامي الجديد . كيف لا ، والهجرة قصة من أروع ما عرف تاريخ المغامرة في سبيل الحق والعقيدة والايمان . لقد كان النبي هاجر الى يثرب حتى يتمكن من تبليغ رسالة التوحيد

والهداية ، تلك الرسالة التي حاربها أهل مكة من يوم بعثته الى يوم هجرته أهول حرب فهو لم يفكر حين هاجر في مال أو جاه أو رتبة أو تجارة إنما كان همه نشر رسالته وتوفير الطمأنينة لمن يتبعون تلك الرسالة ، وكفالة الحرية لهم في عقيدتهم وصلاتهم . لقد كانت مكة ضيقة جدًّا بالنسبة لعظمة الرسالة . وكان القرشيون حجر عثرة في سبيل انتشارها واقتطاف ثمارها اليانعة لخير الانسانية وسلامة البشرية من ضلال الوثنية وفوضى البداوة الجاهلة . فلما وقعت الهجرة اتسع أمام صاحب الرسالة مجال العمل فتضاعفت الجهود وتضافر الاخوة في سبيل الله وفي سبيل العقيدة والايمان فلم يمض على ذلك اليوم — يوم الهجرة المبارك — ثماني سنوات الا وكان جيش التوحيد يتوج جهود نبيه ، ويحتل عاصمة قريش ويقيم فيها عرشًا شعاره الايمان والجهاد في سبيل الحق والعمل الصالح في انقاذ المظلوم من الظالم .

هذا هو يوم الهجرة الذي اتخذه عمر بن الخطاب وعصبته المجاهدة المؤمنة مبدأ للتقويم الاسلامي . وهو يوم معروف التاريخ لم يشك فيه أحد . ولقد قال الطبري في تاريخه عن تقرير هذا المبدء ما يلي :

(قدم النبي (ص) يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، فاذا كان الأمر في تأريخ المسلمين كالذي وضعت ، فانه وإن كان من الهجرة ، فان ابتداءهم إياه قبل مقدم النبي المدينة بشهرين وإذا هي لاثني عشرة وذلك أن أول السنة محرم . وكان قدوم النبي المدينة بعد مضي ما ذكرت من السنة ولم يؤرخ التاريخ من يوم قدومه ، بل من أول تلك السنة) .

ولقد رأى أحدهم أن يحقق اليوم الذي هاجر فيه النبي بحسب التقويم الشمسي فقام بعملية حسابية طويلة لا محل لذكرها . ثم وجد أن قدوم النبي (ص) هاجر الى المدينة كان يوم الاثنين الواقع في ١٦ تموز سنة ٦٢٢ الميلادية .

يافا — فلسطين رفيق التميمي

خريج السربون — وجامعة استانبول

عيد الميلاد

تأليف : أنتوني تشيكوف

ترجمة : حليم الاسيوطي

انتوني تشيكوف قصاص روسي من الطراز الاول ، أبدع في تصوير نخوصه والحياة الانسانية تصويراً بلغ حد الكمال ، فهو يبعث فيهم وفيما الحياة فاضرة دبة فتراهم يتحركون . والنشاط والحياة تملؤهم . وفي هذه القصة القصيرة يرسم لنا الكاتب العظيم صورة لكهل وزوجه العجوز يذهبان الى جندي متقاعد احترف تسطير الرسائل يستكتبانه رسالة الى صهرهما في بطرسبرج . وفي الحديث الذي يدور بينهما وبينه تبدو عناية هذا الصنف من الناس وغيرهم ممن عاشوا في هذه القصة القصيرة حد الترجمة .

ماذا أكتب ؟ هكذا تساءل يوجر وغمس في المحبرة قلمه . منذ أربعة أعوام لم تر فاسيليزيا يضيا ابنتها التي ذهبت الى بطرسبرج عقب زفافها ، ثم أرسلت الى أمها خطابين ومنذ ذلك الحين ، انقطعت أخبارها ، كمن فوق الدنيا فلم يعد يسمع لها صوت ، ولا يدح لها خيال. وكانت المرأة العجوز دائمة التفكير في شيء واحد ، سواء أكانت تحلب البقرة في فجر الصباح أم توقد النار في المساء أم تغفو في الليل — ماذا حدث لبقيا ؟ أهي حية ترزق وقد أضحى التنائي من التداني بديلاً . وكان فرضاً عليها أن ترسل خطاباً ، فالوالد مسن ، وهن عظمه واشتعل منه الرأس شيباً ، لا يستطيع الكتابة ، وليس في الكورة من يكتب ، وقد أقبل عيد الميلاد ، وفاسيليزيا لا تطيق صبراً أكثر مما احتملت ، فذهبت الى الخان حيث يجلس يوجر أخو زوج صاحبه ، وهو متعطل منذ عودته من الجندية ويزعم الناس أنه ذو مقدرة فائقة على تحرير الكتب إذا أحول له العطاء ، فباغتت فاسيليزيا طاهي الخانة ثم ربة الدار ، ثم يوجر ، وتم الاتفاق على خمسة عشر (كوبك) . وكان ذلك في اليوم الثاني من عطلة العيد. وفي مطبخ الخان حيث جلس يوجر الى المنضدة ممسكاً بقلمه في يده ، ووقفت فاسيليزيا أمامه وقد ارتسمت على وجهها دلائل القلق ، وبدت على أساريرها علامات الألم ، وكان يرافقها

زوجها بوتر، وهو شيخ نحيل توصلت رأسه بقمة صلع خضراء، سار مرسلاً نظراته في شعاع مستقيم كأعمى، وكانت شريحة من لحم الخنزير تقلى على الموقد في طاجن مع قليل من عصير الطماطم، تنز بأصوات وقعها في الأذن مثل كلمات فلو فلو فلو ترسلها وهي تقرب من النضج.

***

عاد بوجر يكرر سؤاله: ماذا أكتب؟ ماذا تسائلت فاسيليزيا ناظرة اليه في غضب وشك. لا تثقل علي فإنك لن تكتب لي بدون أجر. لا تخش شيئاً فأنا أفقدك أجراً عن عملك هيا اكتب: الى صهرنا العزيز أندري هريسانتش، وابنتنا العزيزة الوحيدة يفيما بتروفانا في شوق لاهج نبعث بتحياتنا في حب واعزاز، داعين لكما بالبركات تغمركما أبد الحياة. نتمنى لكما عيداً سعيداً نحن ننعم بعيش خافض وحياة رغدة نرجو لكما أطيب منها.... استجب يا الهي دعواتنا.... يا سيد السموات والأرض»

غرقت فاسيليزيا في تأمل عميق، ثم أطلقت وتبادلت النظرات مع رجلها المسن.

«.... ونرجو لكما أطيب منها، تقبل دعائي يا خالق السموات والأرض». رددت فاسيليزيا الدعاء وبدأت تنتحب حتى عجزت عن أن تفوه بأكثر مما قالت، وكانت تخال في ليلتها الماضية وهي مستلقية على فراشها، مستغرقة في هواجسها وأحلامها إنها لن تكفيها عشر صفحات لتودعها ما في رأسها من أفكار. إذ منذ رحلت الابنة صحبة زوجها فاض ماء البحر غزيراً جارفاً، وحرم مسنو الأسرة الخير والماء وعاشوا في عاجة وعوز، ضائقة صدورهم بالتنهدات والأنين ليلاً والشكوى يرددونها نهاراً، وضجوا كمن واروا ابنتهم الثرى وفقدوها الى الأبد. لقد وقعت أحداث كثيرة في القرية منذ غادرتها يفيما فكم من زفاف وكم من وفاة، ما أطول فصول الشتاء وما أمر لياليه.

«الجو حار» قال بوجر وهو يفك أزرار سترته، وأردف لا بد ان درجة الحرارة قد بلغت السبعين، ثم سأل هل من مزيد؟

صمت الرجل المسن، وسكتت زوجه العجوز... ثم أردف لقد كان جندياً، يا صديقي الطيب، فاه الرجل في صوت خفيض، وترك الجندية في الوقت الذي عدت فيه. كان جندياً

وثق مما أقول ، ولكنه يقيم الآن في بطرسبرج بواباً لمؤسسة العلاج المائي حيث يعالج الطبيب مرضاه بالماء دون غيره من العقاقير أو الأصلحة .

ثم قالت المرأة العجوز وهي تخرج سطاناً من جيبها نعم ان ما سمعت ولوحت بالخطاب في يدها «مكتوب هنا ، ولقد جاء من بترسبرج ولكن متى كان ذلك فعله عند ربي . أليس من المحتمل أنهما سارا في عداد الأموات . فكر يوجر قليلاً ، ثم عاود الكتابة على عجل من أملاء العجوز .

ثم استأنف الرجل العجوز إملاءه من جديد يقول « وفي الوقت الحاضر » اكتب يا يوجر ... « ومن يوم كتب عليك الانخراط في سلك الجندية وتحن ننصح لك أن تقرأ مجموعة الجمع التأديبية والقوانين الأساسية للادارة الحربية ، وسيبين لك من قراءتها ما يضطلع به رجال الحرب » .

سطر يوجر ما سمعه ، ثم قرأ عليها ما سطر في صوت مرتفع بينما كانت فاسيليزا تتدبر ما يجب اضافته الى خطابها ... كيف كانت حالهم في العام المدبر ، ولم تكف الخدمة حاجتهم حتى عيد الميلاد فاضطروا الى بيع البقرة فيجب والحال هذه طلب نقود وتصوير ما غدا فيه الرجل الشيخ من هلكات متواصلة دائبة وربما فارق الحياة وشيكاً .... ولكن أنى للمرأة العجوز الافصاح عن دخيلة نفسها ومكنون قلبها والألفاظ لا تطاوعها ؟ ولا تدري كيف تبدأ ولا متى تنتهي . فصمتت وعاود زوجها الاملاء قائلاً « أكتب ملحوظة » ، فاستأنف يوجر الكتابة « في المجلد الخامس من أنظمة الجيش كلمة جندي اسم يكون تارة عاماً وأخرى علماً ، والجندي في المرتبة الأولى هو القائد ، وفي المرتبة الدنيا ... ثم قطع الحديث وحرك الرجل الهرم شفتيه بعد برهة ، وقال في رقة وهدوء « انه لمن الواجب وعن الصواب أن يعني الأبناء بالأحفاد فسألت المرأة ، وقد استشاطت غضباً : أي أحفاد تعني ؟ فأجاب الشيخ ، أليس من الجائز أن يكون هناك أحفاد ؟ ربما كان هناك بعض الحفدة فمن يدري ؟ فقاطعته قائلة :

أهكذا يكون تصورك للأشياء ؟ وأسرع يوجر في عمله ، وأسرع الشيخ في الاملاء ... ان ألد أعدائنا في الداخل وفي الخارج هو باخوس اله الخمر .

صرّ القلم بين أصابع يوجر بلمع كشخص صياد عند ما أجراه على القرطاس ، وأسرع فتلا كل ما صطر .

وكان يوجر يجلس على مقعد يحرك قدميه العريضتين تحت نضد أمامه ، تنطق ملامحه بالفتوّة والشباب ، ويترقرق ماء العافية في وجنتيه ، وجبهه كالح كوجه حيوان كاسر ، ورقبته كرقبة ثور ، فهو الفظاظة تجسمت . تخور بطلاوته وصبوته التي أفلتها صحاء الحان حيث درج منذ الصغر .

وكانت فاصيليزيا تمي صفات يوجر ، ولكن تنقصها قوة التعبير ، فنظرت اليه وهي تتميز من الغيظ ، وأشاحت الدوار واعتصمت عليها التعبير ، وصبب لها صوته الأجش وهمهمته الخشنة الصداع ، وسدّا عليها القول ، وزاد الحال سوء حرارة المكان ، وهواؤه الفاسد ، فأمسكت عن التفكير وتمهلت ريثما يفرغ يوجر من كتابته ، بينما نظر الرجل الكهل في ثقة واطمئنان ، ثقة بزوجه ، واطمئنان اليها ، وقد جاءت به الى ذلك المكان كما كان يرتاح الى يوجر فلما ذكرت كلة دار العلاج المأفي نطقت أسارير وجهه بإعانه بها ، وقوة عقيدته في الماء على الشفاء .

* * *

وحين فرغ يوجر من تسطير الكتاب وقف يعيد تلاوته ، والشيخ يهزّ رأسه مظهراً راحته الى ما يسمع دون أن يفهم له معنى .

قال الشيخ : « تجري الأمور طوع ما نبغي ، فالخطاب رقيق حافل جزاك الله طيب الصحة يا بنيّ . . . . الحال مرضية راضية .

ألقت المرأة والشيخ بنظرة نفوذ من ذات الحسة (كوبك) على النضد ، وغادرا الحان والرجل ثابت البصر ، لا يطرف كأنه أعمى ارتسمت دلائل المعرفة والحكمة كاملتين على وجهه ، أما فاصيليزيا فما وضعت قدمها خارج عتبة المنزل حتى لوّحت بيديها عاقفة منبطة وهي تقول « فليأخذك الوباء » .

قضت المرأة العجوز الليل بطوله ساهرة مسهدة ، ما اكتحلت عينها بنوم ، ولا أخذتها

سنة ، تقض البلابل وتطوم مضاجعها . فما لاح الفجر حتى هبت من رقادها تردد صلواتها ، ثم خرجت تقصد مكتب البريد سعياً على الأقدام لتلقي بالخطابات وهو يبعد مسافة نصف أميال

* * *

— ٢ —

بدأت عيادة الطبيب ب . و . فوريلوز في صبيحة السام الجديد تستقبل نشاطها ، وتستكمل جميع مظاهرها السالفة إلا شيئاً واحداً فإن الشاب اندري هارتش ارتضى حلة رسمية ذات جدائل وأولى حذاءه لفافة فائقة ، ويحيي الزائرين قائلاً : عام سعيد .

وقف بالباب يقرأ صحيفة بيده ، وفي الساعة العاشرة وفد الى الدار ضابط عظيم ، تعوّد الاختلاف اليها ، وقدم في أثره ساعي البريد فتلقف أندري معطف الزائر وحياه بالعيد قائلاً : عام سعيد يا سيدي ، فأجاب الضابط : أفكر لك تمنياتك أيها الفتى الطيب ، وتلك مثل ما نرجو ، ولما بلغ أعلا درجات السلم أوماً برأسه تجاه الباب وأنى سؤاله اعتاد أن يلقبه كل يوم وينسى الاجابة عليه : ما الذي بهذه الحجرة ؟ انها غرفة التدليك يا سيدي .

هدأت خطوات الضابط وخفت وقعها ونظر اندري الى الرسائل التي وصلت موجد بينها رسالة باسمه ، فقض غلافها وقرأ بضعة سطور منها ، ثم مضى وئيد الخطى ، وهو ينظر في الصحيفة ، نحو حجرة في الطابق السفلي في الجهة المقابلة للمهو .

كانت بها زوج أندري في فراشها ترضع طفلها وبجوارها وقد أكبر الأطفال سناً ، واصغى الثالث مسنداً رأسه بشعرها المتموّج على نهد أمه .

دفع اندري الخطاب الى زوجه وهو يطأ أرض الحجرة وقال . خطاب أخته من القرية .

وغادر الحجرة ولا زال بصره طالعاً بالصحيفة ، واستطاع أن يسمع بغيها وهي تتلو السطور الأولى من الخطاب في صوت متهدج باكر ، قرأت السطور الأولى ولم تستطع الاستمرار ، فهي ما قرأت الكفاية ، ثم انخرطت في البكاء واحتضنت طفلها الأكبر ، وطبعت على وجهه قبلاتها ، وفي صوتها حشرجة ليست بنشيج البكاء ولا بقرقعة الضحك وقالت بلسان حال رضيعها :

خطاب من جدتي، نعم خطاب من جدتي ، من القرية يا للسماوات ، ويا للقديسين والشهداء، ان الجليد الآن يغرا كم أكواماً تحت سقوف المنازل ... والأشجار تكسو رؤوسها تيجان ناصعة البياض من الثلج ، والعصبة تنزلق في مركباتها الصغيرة ، وجدي العزيز الأصلع يجلس بجوار المدفأة . وكذا كلبنا الصغير ... اني أعرف أحبائي . » طرقت تلك الكلمات سمع اندري فذكر خطابات زوجه التي أعفتها له رجاء أن يبعث بها الى القرية ولكن في كل مرة كان يحول دون ذلك عارض يمنعه ، فتقدمت جيها الأبد .

« الأرانب البرية تسرح حوالي الحقل » غنت فيها وغمرت طفلها بالقبلات وفاضت عيناها بدمع هتون وأردفت « ان جدي عطوف رقيق .... وجدتي رحيمة حسنة الطوية وأهل الريف ذوو شعور قوي دافق ، وعاطفة مشبوبة جياشة ، يخشون الله ، ويعيشون في عفافه ، والقرويون يرتلون الترانيم في الكنيسة الصغيرة . ابتعدي بنا عن هذا المكان البغيض أيتها السماء ، أيتها الأم المباركة المقدسة »

* * *

عاد اندري الى الغرفة ليدخن لفافة تبغ في انتظار دقات طارق جديد فأمسكت بفيها عن الكلام واعتصمت بالصبر ، وجفت الدموع في مآقيها وما زالت شفتاها ترتعشان ، فقد كانت ترهب زوجها وتخشى بطشه وعنفوته .

ارتعدت فرائصها ، وملأها الذعر عند سماعها وقع أقدامه ، وتبينت في عينيه ما أخرسها عن التفوه بكلمة في محضره .

لم يكد أندري يضع لفافته حتى دق الجرس فأطفأها ، واستتم الزراعة وأوصد الخطى نحو الباب الأمامي . كان الضابط يهبط الدرج منتعشاً متورد الوجنات بعد حمامه .

سأل ، كما سأل من قبل مرات ، وسبابته تشير الى الباب : « وماذا عساه يكون في تلك الحجرة ؟ »

ومضى اندري بيديه في سرعة وخفة بجانبه كعادة الجند وأجاب في صوت مرتفع ، متمن الماء الساخن يا سيدي .

تمت

مكتبة المقتطف

مقدمة في الاجتماع

كتاب للاستاذ عبد الفتاح ابراهيم — بغداد

حيّا الله العراق وأهل العراق ، فإنهم قد أعطوا الدنيا كلها الدليل الواضح على عراقتهم في المجد ، وقدم عهدهم بالمعرفة ، وطول ممارستهم لشؤون الفكر والبحث ، على الرغم من أحداث الليالي : فلقد كان لبغداد في العصور الخوالي شأن وأي شأن في العلوم والآداب والفنون ، إذ كانت كعبة كل أديب ، ومطمح نظر كل مفكر ، ومنها تصدر الروائع ، وفيها تظهر الطرف ، وفي قصورها ونواديها ومجتمعاتها تتهيأ أرقى صورة لنهضة الذهن ويقظة الروح ، ثم شاء ربك لحكمة يعلمها أن تصيب العراق توازل الدهر وكوارث الحدثان ، فاغتصبها الدخيل . وعدا عليها المستعمر ، وقضى على نواحي العظمة ومظاهر المجد فيها قوم بغوا في الأرض بغير الحق ، ومضى على ذلك دهر طويل ، وشاء ربك أن يعود السليب إلى قراره ، وأن يرجع الحق إلى أهله ، وأن ينال الفرس ثأرهم ، فتنفست العراق الصعداء منذ سنوات معدودات ، وما كان أشد دهشة الناس حينما رأوا العراق اليوم في مجده ونهضته وعظمته ، هو عراق القرون الماضية ، حيث كان مجلى النباهة ، ومستراد الوثباد والطامحات ، فكأن دهر الاحتلال والاستعمار لم يكن إلا سنة من النوم استجم بها العراق قوته ، وجمع فيها شتاته ، وجدّد نشاطه ، ثم هب من نومه مذعوراً وقد رأى الأمم تقتحمه بخطوات ، فهرول في سيره ليدركها ، وطار في مشيته ليسبقها ، وأبى أن يستكين أو يصبح في الطليعة ! ...

أجرى على قلمي هذه العبارة الصادقة ما رأيته من مظاهر النهضة والتقدم في العراق

الشقيق الحبيب ، وعلى الأخص تلك النهضة الأدبية التي أنتظر أن تؤتي أطيب الثمر في الغد القريب . فلقد عرفت العراق بعجلاتها الماشية والنامية ، وكتبها العلمية والأدبية القيمة ، التي إن دلت على شيء فلا تدل إلا على أن العربية بمصر والعراق وسورية وبقية بلاد العرب حية لا تموت بإذن الله تعالى !

هذا كتاب جديد قيم ، في موضوع لم يصدر عنه بالعربية إلا كتاب أو كتابان ، فهو جديد على أذهاننا ، طريف في بلادنا ولغتنا ، فهو بلا شك صعب التناول شديد المراس علينا ، فإذا ما رأينا أديباً ناهضاً منا تناول القول عنه نوفق في أكثر مراحله ، وأجاد في أغلب مواضعه ، كان واجباً علينا أن نقدّره حق قدره ، وأن نرفع من شأنه بين النابهين من الأدباء !! . .

اسم الكتاب « مقدمة في الاجتماع » وبحثه كما هو ظاهر « علم الاجتماع » ومؤلفه الأديب الكبير الأستاذ عبد الفتاح ابراهيم ، من خيرة المثقفين المفكرين في العراق ، والذي درس حيناً من الزمن في أمريكا ، بعد أن رغب التخصص في التاريخ والاجتماع ، وقد سمعت أنه أصيب أثناء دراسته بأمريكا بمرض أجبره على الانقطاع عن الدراسة ، قبل حصوله على اجازة « الدكتوراه » بعام واحد ، فاضطر الى العودة إلى بلده العراق ، ولم يرزقه الله له أن يعود مرة أخرى ، فاشتغل بالبحث في شؤون التاريخ والاجتماع ، حتى صار في ذلك أقدر من حملة الإجازات والشهادات العليا . . .

وكتابه هذا يقع في ٢٢٣ صفحة من الحجم المتوسط ، ويشتمل على تسعة فصول ، استعرض فيها النزعتين « الروحية والوثنية » في الحياة ، وأثرهما في الاجتماع ، ثم تناول « السياسة » خلال معناها ، وبين صلتها بالمجتمع ، وأتى على نبذة في منشأ علم الاجتماع ومذاهب الفلاسفة اليونانيين وغيرهم فيه ، ثم انتقل الى تعريف المجتمع ومنشئه ، وأتبع ذلك بذكر مقوّمات المجتمع وهي : رابطة الجنس ، والبيئة ، والاقتصاد . . . ثم تحدّث عن « المثالية والمادية » حديثاً استغرق ما يقرب من أربعين صفحة ، ولكنه على الرغم من ذلك الطول جاء مبهماً موجزاً ، خصوصاً فيما أورده من أمثلة ، ولا يعني بتفسير « المثالية والمادية » إلا كتاب في خمسمائة صفحة كاملة على الأقل ، ثم تحدّث المؤلف عن تطور المجتمع ووجهته

ودلائله ، وذكر بترسيخ مقوّمات هذا التطور من التنمية وملاءمة البيئة وتوزيع العمل ...

وأول ما ألاحظه في المؤلف فيه انى طريقة النقل والاستشهاد والتقرير ، لا إلى الانشاء والابداع ، فكثيراً ما تقرأ في تضاعيف الكتاب هذه الجمل : « ذهب فلان الى كذا » و « مذهب فلان كذا » و « في الكتاب الفلاني كذا » ! . . أما كان يجدر بالمؤلف وقد تخصص في الاجتماع ، وطال عهده ببحوثه وفصوله أن يقدم لنا نتيجة بحوثه الفردية وآرائه الشخصية ؟ . . . ولكن قد نجد للمؤلف عذراً عن ذلك في تسميته الكتاب « مقدمة » ونتنظر منه أن يكتب بعد ذلك في الصميم فينشىء ويبتدع ! . . .

وفي صفحة ٤٧ يستشهد المؤلف على رجوع الانسان إلى أصل واحد بقدرة أزواجه على التزاوج والتناسل ، بخلاف بقية الحيوانات الأخرى ، فإن جنسين مختلفين منها لا يتناسلان وإن تناسلا فإن ذريتهما تفقد قابلية التناسل حتماً ، كما هو الحال في الخيل والحمير عندما تتناسل فتلد البغال العقم » . والتعليل بهذه العلة غير مقبول ، فقد وقعت إنات البغال في حوادث معدودة ، فبطل قوله « حتماً » . فإن قيل إن ذلك من باب الشذوذ ، والشذوذ غير معتبر ، قلنا : ولا يصح لنا أن نعتقد قاعدة علمية تطرد ارتكاناً على مثل هذه الحجة ، فالتناسل من صنة الطبيعة ، والطبيعة لا تستطيع ضبط ناموسها ، فقد تتناسل العقم غداً ، كما قد تعقم المتناسلة ، وذلك من أمور الغيب . ولعلّ مما يؤيد رأيي هذا عبارة المؤلف نفسه في صفحة ١١١ عن عدم انفراد صفة الاختبارات والمشاهدات ، وهذا نصها : « الاختبارات لا تدل على أكثر من تناهيها ، فانجماد الماء في درجة الصفر في حالات معينة لا يدل على أنه ينجمد دائماً في هذه الدرجة ، فربما تكون درجة الحرارة انخفضت ملايين من الدرات فيما مضى فلم ينجمد ، وقد تنخفض في المستقبل فلا تنجمد أيضاً » ! ! . . وقياس التناسل بين نوعي الجنس البشري الإنساني عن التناسل بين جنسين مختلفين من الحيوان كالخيل والحمير قياس غير صحيح وغير مستقيم ، فإن الانسان كان النوعان داخلين تحت جنس ، أما في الحيوان فهما جنسان كل منهما مستقل بخصائصه ومميزاته ، وإن جمعتهما رابطة الحيوانية بعد ذلك ! .

وفي صفحة ٤٨ يقول المؤلف : « . . . وفقاداً غليظة » وأظن الصواب « غليظة »

بالبناء لا بالبناد ، فأنا لم أسمع كلمة « خليفة » هذه إلا في العامة !

وفي صفحة ٧٠ يقول المؤلف عن وفرة المحاصلات وعدم احتياجها الى عناء : « فالأرز يكفي أن تبذر بذوره فيجني محصوله » والواقع يناقض هذا القول ، فزراعة الأرز تحتاج إلى مجهود كبير حتى تنضج ثمرتها وتؤتي أكلها ، والفلاحون في مصر مثلاً — وهي بلد مشهورة بزراعة الأرز ، وفيها النيل المبارك — قاسوا ولا يزالون يقاسون الأمرين في زراعة الأرز ! .. وجولة قصيرة في أرجاء الريف أثناء الصيف يطيك أوضح دليل على ما نقول !

وفي صفحة ٧٢ يقول المؤلف عن استعباد الملوك للأفراد في العصور القديمة ، فالفراعنة — مثلاً — لم يبالوا بأن يستهلكوا جهود ألفي رجل مدة ثلاث سنوات لنقل كل حجر من أحجار الاهرامات من مخارجها إلى أماكن البناء ، بحيث استنزف بناء الهرم الأكبر جهود ثلاثمائة وستين ألف عامل مدة عشرين سنة ، وكذلك لم يعبأوا بإفناء نيف وماثة وعشرين ألف عامل في حفر قناة البحر الأحمر ... ! . وهذا القول مبالغ فيه ، ويخطىء من يبالغ في وصف قسوة الفراعين على رعاياهم ، ولا يعقل أن نقل الحجر الواحد في الهرم كان يستنزف جهود ألفي رجل مدة ثلاث سنوات ، مع ان أكبر حجر في الهرم لا يزيد عن بضعة أطنان ، والمسافة بين الحجر وبين محل البناء ليست طويلة طولاً فاحشاً ، وكذلك لم يستخدم في بناء الهرم ٣٦٠٫٠٠٠ عامل كما ذكر المؤلف ، بل مائة ألف فقط ، كانوا يشتغلون في العام ثلاثة شهور زمن الفيضان ، ثم يستبدل بهم غيرهم ، وهكذا ... وقناة البحر الأحمر لم يهلك في انشائها ربع هذا العدد المذكور ، ومن يتصور أن قناة متوسطة الطول والعرض يفنى في إنشائها مائة وعشرون الف عامل ! . أي يتوترن ويهلكون ! . رفقاً بعقولنا ، ورفقاً بالتاريخ يا أستاذ عبد الفتاح !

لا تظلموا الموتى ، وإن طال المدى إني أخاف عليكم أن تلتقوا !

ويتحدث المؤلف في ص ٧٢ أيضاً عن أهل البلدان الحارة فيقول إنهم « ... يسيطر لسلهم خوف الجوع والعري » . ونحن لم نسمع قبل هذا العصر أن قوماً حاولوا تحديد النسل أو ضبطه ، وإنما قل النسل في البلاد الباردة لأسباب طبيعية ، فالجو البارد والغريزة الجنسية الباردة الراكدة بسبب هذه البرودة وذلك الفتور الذي يعد عاملاً مهماً في تكوين الملكة التناسلية

وغيرها ، هذا وغيره هو السبب في قلة النسل بتلك البلاد ، على عكس ذلك في البلاد الحارة !

وفي ص ١٠٠ يقول : « ومسعرة لأجل محافظة مصالح المنتفعين به » والصواب فيما أعلم « حفظ » أو « المحافظة على . . . » . وفي نهاية ص ١١٣ وردت كلمة « بيضوي » نسبة إلى البيضة ، والمشهور « بيضاوي » وإن يكن القياس « بيضي » ! . وفي ص ١٩٣ يقول عن وطن الانسان : « الذي نبتت تربته (رمم) أسلافه » ولو عبر بـ « جثث » أو « رفات » بدل « رمم » هذه التي يشم منها الرائحة الخبيثة لكان أجمل وأحسن .

وقد أعجبني كل الاعجاب عبارة المؤلف في ص ١٧٨ عن سمو الأديان السماوية ، وسوء فهم الناس لها ، وتحويرهم الخافق لمبادئها ، فاستمع اليها تحس بما أحسست به ، قال :

« على أن الانسان لم يوفق الى ما كانت تريده له هذه الأديان العالية ، فقد عاقه الجهل الشامل وقصر العقل في ذلك الزمان عن إدراك مراميها السامية ، واضطربت مساعيه في هذا السبيل ، بما اضطره الى اتخاذه من وسائل فرضها عليه الواقع ، فلم يمض على ظهور هذه الأديان غير وقت قصير حتى التوت كثير من مبادئها لما أساء الناس فهمها ، واستحالت الى أغلال عاقت ارتقاء العقل ، ويسرت لذوي الأطماع أن يجعلوا منها ستاراً لمطامعهم في المال والسلطان ، وهكذا انقلب الجهاد في سبيل الاسلام مثلاً الى نزاع على سلطة الحكم التي تقمصتها الخلافة ، فآل نشر الدين الى بسط السلطان ، ومبدأ الاخاء الانساني الى تسخير الشعوب باثارة العداوة بينها لخدمة مطامع المتنازعين على السلطة ، وقامت الكنيسة في أوربا ففعلت في المسيحية منذ ما فعل النزاع على الخلافة في الاسلام ، واتخذت من مبادىء الدين المسيحي السامية وسائل لجمع المال ، وخدع الناس بالبهرجة الزائفة ، واشغالهم بالطقوس الجوفاء ، واستهلاك قوى العقل في مسائل لا طائل تحتها ، واستخدام سلطان الدين لتدعيم الاقطاع . . »

هذا جميل كما ترى ، ولكن ما بال المؤلف يذهب عقيب ذلك مباشرة فيناقض نفسه ويدّعي أن الأديان العالية — يعني السماوية كما يظهر — « وإن سوّت بعض التناقض في كثير من العلاقات الاجتماعية . . . ولكنها قوّت في مؤسساتها متناقضات أخرى بالتفريق بين الناس على أساس الاعتقاد . . . » الخ .

يا أخانا الأستاذ عبد الفتاح ! . . أما الأديان الوضعية فقد اتفق العقلاء على أنها باطلة . وأما الأديان التي ثبتت سماويتها فكلها من نبع واحد ومصدر واحد ، قال القرآن الكريم : « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » . وقال القرآن الكريم أيضاً :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير » .

وقال نبي الاسلام عليه السلام : « الانبياء أبناء علات ، الأب واحد ، والأمهات مختلفات » .

فأنت ترى أن الأديان متحدة في الأصل ، وإنما جاء الاختلاف والتفريق من التحريف والابتداع الذي قام به الكهان والجهال في كل دين سماوي ، وما الموسوية والمسيحية والمحمدية إلا مترادفات لمعنى واحد ، هو الاقرار بوحدانية الخالق ، والإذعان لتعاليمه وشرعه ، ولكن الناس اختلفوا ، « وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءتهم البينات » ! .

ومن ذلك يتبين أن الأديان السماوية العالمية لم تحل العداوة بين المختلفين في العقيدة ، بل دعت الى الوحدة والاجتماع ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة !! .

وفي ٢٢٢ يقول المؤلف : « نستطيع أن نقدر الخدمة العظيمة التي قدمتها الحركة الكمالية الى اللغة التركية باقتباسها حروف « ألفباء » اللاتينية ، باعتبار أنها تمتاز عن « ألفباء » العربية في أنها بلغت في الاحتشاء عن الحركات آخر مراحل التطور المحقق » .

وأنا مع إعجابي بنهضة الكماليين في فنون كثيرة ، لا أماري المؤلف في الاعجاب بهجرهم للحرف العربي وإيثارهم اللاتيني ، فما يدل ذلك إلا على العدام القومية ، وعدم الحفاظ على لغة القرآن ، تلك اللغة التي أوصلتهم يوماً ما إلى عجد لم ترَه أمة في العالم ، من الناحيتين المادية والروحية ! ولقد كان في مكنة الكماليين أن يصلحوا من شأن « ألفباء » العربية ، بأن يخترعوا فيها حروفاً للحركات ، فيحفظوا بذلك لغة دينهم وقوميتهم ! ، وقد قال هذا

الاصلاح بعض المفكرين العرب على صفحات بعض المجلات والكتب ولعلهم يوفقون ! !

كذلك ألاحظ أن المؤلف أكثر من ذكر الكتب والمراجع وأسماء رجال الاجتماع بالحروف اللاتينية فقط في صلب الكتاب ، وعندي أن هذا يشوّش على القراء قراءتهم ، وخصوصاً الذين لا يعرفون لغة أجنبية وهم الكثرة الغالبة في بلادنا . ولذلك كان من واجبه أن يكتب هذه الاسماء بالحروف العربية في صلب الكتاب ، وإن أراد الدقة في العمل فلا مانع من ذكرها بالحروف اللاتينية في الهوامش .

كذلك أعاتبه على إهماله لرجال الاجتماع العرب والمسلمين في العصور الماضية ، فما لا شك فيه أن لهم باعاً طويلاً في هذا العلم ، وإن يكن بأسلوب وتعابير ومظاهر غير المعروفة لنا اليوم ، وما أظن أنه استشهد بعربي في كتابه إلاّ بابن خلدون مرة أو مرتين ! ...

إن للغرب نهضة حديثة باهرة ، ولكن يجب أن نذكر أنها عنا أخذت ، ولعلها إلينا تعود يوماً من الأيام ! ..

لا يسعني في النهاية إلاّ تهنئة الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم على هذا الأثر العلمي القيم ، وأتوقع بعد أن قدم مقدمته أن يدخل في الصميم ، فيفصل لنا قضايا الاجتماع تفصيلاً لأنه من العلوم الهامة التي يترتب عليها كثير من الآثار الخطيرة في تقدم الأمم وعلوّ شأنها ، وما أحوجنا نحن الشرقيين إليه في هذا العصر ، والله ولي التوفيق .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

١ — أثر العرب في الحضارة الأوربية

للاستاذ عباس محمود العقاد

توافر لهذا الكتاب عنصران فوق لهم خطرهما ، وأهميتهما في مجال الدراسة والتأريخ ، عنصر الموضوع الذي يدور حوله البحث . فهو من الموضوعات التي غدت مثاراً لاضطرابات الأفكار بين متعصب لها ، ومتجنٍّ عليها ، ولم يظفر هذا الموضوع بالدراسة العلمية التحليلية — فيما أعلم — قبل هذا الكتاب ، فقد استطاع — العقاد — أن يبلغ المحز من تلك المشاكل المعقدة ، والنفاذ الى اللباب في كل ما يعرض له ، وبيان الأسباب ، والكشف عن

العوامل الطبيعية التي خلقت هذه الظواهر ، لائذاً بالنزاهة العلمية ، التي لا تورّط ، ولا تقالي ، بل تعرض على المشرحة كل ما تريد أن تدرسه ، وتضعه تحت المجهر ، ثم تراقب ، وتستقرىء ، وتشاهد ، وتسجل ما تصل اليه بعد التجربة ، والتحليل ، والتأكد ، وهو يقرر أنه ليس من همه في هذا الكتاب أن ينفي مزايا الشعوب ، والسلالات ، فان هذه المزايا حقيقة لا مهرب فيها ، ولا سبيل الى نكرانها ، ولكننا إنما نرد هذه المزايا إلى عدة عوامل طبيعية ، وأسباب تاريخية ، تسري على كل قوم إذا تعرضوا لها ، ولا ينفرد بها الساميون ، أو غير الساميين ، وبهذا الميزان الصحيح تنعقد الموازنة بين الحضارة العربية ، وسائر الحضارات فلا تشيل في الميزان . هذا هو المنهج الذي ينهجه العقاد في دراسة أمثال هذه المباحث فلا يستعين بالثرثرة الإنشائية حيث تكون الكلمة للمنطق الحكيم ، والسند التاريخي الركين ، وقد أخذ يدرس كل هذه المظاهر التي أخذتها أوروبا عن العرب ثم عقب بما أخذته العرب عن أوروبا فتكلم عن العرب ومن هم ؟ والعقائد السماوية ، وآداب الحياة والسلوك ، والتدوين ، وصناعات السلم والحرب ، والأصل والنقل والتعليم ، والعلوم والجغرافيا والفلك والرياضة ، والآداب والفنون الجميلة والفلسفة والدين . ثم يتناول بعض الألوان التي استعارتها العرب عن أوروبا . فتكلم عن — سداد الديون ، والاجتماع ، والسياسة ، والحكومة البرلمانية الوطنية ، والأخلاق ، والعادات ، والآداب ، والفن ، والصحافة ، فجاء هذا الكتاب أجل دراسة عالجت هذا الموضوع ورددّت الى كثير من قلوب شبابنا المثقف إيمانهم ، وإجلالهم ، لحضارتهم على أساس علمي ، لا من طريق إثارة الحماس ، وإيقاد جذوة التعصب . والعنصر الآخر هو تلك المهارة ، والدقة ، والحذق في التحليل ، واستخلاص النتائج من المقدمات حتى يستطيع الكاتب الذي يتصدى لهذه الدراسات أن يقدم ما ينفع ، ويعيش ، وهذا البحث يعد المثال ، والنموذج في هذا النوع من الدراسة التي يجب أن يكون هدف من يروم الكتابة ، ويدرس التاريخ .

٢ — كتب وشخصيات

الاستاذ سيد قطب

لكل كاتب جانبه الحي الخصب الذي تتجلى فيه خصائص ذهنه ، وطبيعة ملكاته ، فهو مبدع ، متفوق ، دقيق ، ما انطلق في ميدانه ، واستجاب لإلهامه ، والأستاذ — سيد قطب —

يكاد يتفرد في مجال النقد الأدبي بنوع من الأسلوب الطبع ، والتناول المحكم ، خليقان بالثناء والتشجيع ، يعاونه حس مشبوب ، وذوق معقول ، ويعبر بهذا الضرب من النقد . ولقد استطاع أن يتسنم هذه الذروة المرموقة ، واثباً . وكتابه هذا تظهر فيه كل هذه الخصائص التي يمتاز بها هذا الذهن المتوقد ، المأمول في عالم النقد والأدب ، وهو كتاب له أثره القوي في تمثل هذا اللون من النقد ، ورياضة الأذواق الناشئة على تذوق الجمال الفني ، وتبصيره بمواطن المآخذ ، ومحاولة إعطائه الصورة الصادقة التي يجب أن ترتسم في نفوس الشباب لماهية الأدب ، ورسالة الأديب ، وله أيضاً جانبه الخاص من حيث هو دراسة أدبية للأدب في هذا العصر ، فهو يتناول الأدباء المعاصرين بالدراسة ، وتصوير مذاهبهم وتوضيح مناهجهم في الكتابة والتفكير ، عن طريق كتبهم فهو يأخذ بعض الآثار التي تصدر عن هذا الأديب ، أو ذاك ويجعله محور كلامه ، ويتخذه وسيلة لافاضة الكلام عن أسلوبه ، ونهجه ثم يحاول أن يتخذ من كل هذا مذهباً عاماً للكاتب ، أو الشاعر ، أو القصاص ، فهو في هذا يدرس شخصيات الأدباء عن طريق كتبهم ، فليس هو ترجم لهؤلاء الأدباء ، ولا دراسة تحليلية شاملة ، عميقة عنهم ، ولكنك تستطيع أن تقول إنه دراسات لبعض جوانب من هذه الشخصيات ، يثيرها ، ويدعو اليها ، هذا الأثر ، أو ذاك الذي صدر عن هذا الأديب أو ذاك والذي كان داعية البحث ، والهدف الأصيل للناقد ، ولكن الكاتب لم يترك موضوع الكتاب يفرض عليه القيد ، ويحتجره خلف أسواره ، بل كان ينطلق حراً في كثير من الأحيان حيث يلم الملمات واسعة في نواحي الشخصية العامة حتى يضع بين يديك صورة متقنة لها . فجاءت دراسات ممتعة خصبة في هذا الباب الذي تشتد حاجتنا اليه ، لما فيه من صقل للأذواق ، وإرهاف للاحاسيس ، ومعاونة في النهوض برسالة الفن والأدب . ففيه آراء قيمة عن الفن ، والقصة ، والكتاب ، والشعراء بين شبوخ ، وشبان ، وهذه الدراسات تبرز السمات الفنية . والخصائص الأدبية ، وطرائق التفكير ، والتعبير ، لأمثال الأساتذة القادة : طه حسين ، والعقاد ، وهيكل ، والمازني ، والحكيم ، وأدهم وغيرهم ممن تلمع أسماؤهم في آفاق النهضة الأدبية المعاصرة .

محمد عبد الحليم أبو زيد

لتخليد ذكرى المرحوم نعمة يافث

تلقينا من الأستاذ أنطونيوس يافث من كبار المهاجرين اللبنانيين الأدباء في سان باولو في برازيل مجلدين كبيري الحجم وقفهما على ذكرى المرحوم نعمة يافث نسيبه . وقد توفي سنة ١٩٢٤ .

والذين تولوا التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت في أواخر القرن الماضي أو كانوا طلاباً فيها إذ ذاك يعرفون نعمة يافث تلميذاً نجيباً من تلامذتهم، أو رفيقاً من رفقائهم على مقاعد الدرس ، أو صديقاً حميماً من أصدقائهم بعد تخرجه ، ويعترفون بما أوتيه من مواهب عقلية وخلقية ممتازة ويذكرون له كثيراً من المفاخر والمآثر التي رفعت قدره في عيونهم، وأدامت صداقتهم له وعرفانهم لفضله حيًّا وميتاً .

تعلَّم المرحوم نعمة يافث في مدرسة المرسلين الانجليزية في بلدته « الشوير » من أعمال لبنان . وبعد ما أتمَّ دروسه فيها التحق بالكلية الأميركية، ونال منها البكالوريوس في العلوم سنة ١٨٨٢ وفي أثناء الدراسة كان معروفاً بالنجابة والعلمية والاجتهاد والاكباب على تحصيل العلوم ، ولاسيما علوم الرياضة والفلك والاقتصاد، فتبرز فيها براعة أهَّلته لمعاجلة كثير من الأساتذة والعلماء على صفحات المقتطف .

وبعد ما تخرَّج في الكلية دعي لادارة مدرسة الطائفة الارثوذكسية في بيروت فأحسن ادارتها، وأصلح نظمها وترك لها فيها مآثر مشكورة وكان المجمع العلمي الشرقي قد أسس قبل ذلك فانضمَّ الى عضويته ، وكان فيها زميلاً لكثير من أقطاب العلم في ذلك العصر ابراهيم اليازجي، وابرهيم الحوراني، وبطرس البستاني، وسليم البستاني، والدكتور يعقوب صرُّوف، والدكتور فارس نمر ، وغيرهم ، فانتضوه كأحد سمر المجمع تقديراً لمؤهلاته وذكائه ونشاطه .

ولكن لبنان ضاق بهمة نعمة يافث كما ضاق بكثيرين قبله ، فنزح الى برازيل في سنة ١٨٩٣ .

وكان قد سبقه إليها اخوته الثلاثة وأقاموا في سان باولو يشتغلون بالتجارة ، فانضمَّ اليهم وأسس معهم شركة تجارية ، تولى ادارتها ، فكان حليفها النجاح ، وشجعه ذلك على تفضيل الاشتغال بالصناعة واختار صناعة غزل القطن ونسجه ، لأنه توقع بعد نظره ان مصنوعات القطن ستكون من أكثر المصنوعات رواجاً . وتمَّ له ما أراد ، وساعدته مؤهلاته العلمية ، وذكاؤه الطبيعي، وخلقه المتين على احراز أقصى ما طمح اليه من نجاح وبلغ مصنع « يافث »

في سان باولو من الشهرة وذيوع الاسم والازدهار فوق ما كان يحلم به ، واتسع المصنع حتى صار يشتمل على ٤٥ الف مغزل، و١٤٠٠ نول. وربع مطابع لطبع القماش وكان يعمل فيه ٢٥٠٠ عامل ، واقتنى هو واخوته من وراء ذلك ثروة وعجداً .

وبعد ما قضى في المهجر ٢٨ عاماً حنَّ الى وطنه ، فزار الشوير في سنة ١٩٢١ وعرج على مصر ، والتقى بأستاذه الدكتور يعقوب صرُّوف وكان المقتطف قد نشر له كثيراً من البحوث الطبية والمناظرات العلمية في الرياضة والطبيعة واللغة كما تقدم .

وحالما وطئت قدماه مصر انصرف الى الاهتمام بشؤونها الاقتصادية وأخذ يبحث في كيف يجلب اليها البن البرازيلي ويبيعه فيها رخيصاً . وفي ما يتعلق بالقطن المصري كان له رأي خاص هو أن تحتكر حكومة مصر هذا القطن كما احتكرت حكومة البرازيل محصول البن اعتقاداً منه بأن ذلك يفيد الحكومة والشعب .

ولم تقتصر براعة لمعة يافث على حسن ادارة الأعمال الادارية والصناعية ، بل كانت له نظرات اجتماعية تدل على سعة عقله ، واستنارة بصيرته ، وبعد نظره . كما كانت له نظرات فلسفية في الأديان قدعا الى التمسك بروح هذه الأديان ، وتآخي الناس ، ونبذ التعصب الديني وفوق هذا وذاك كان وطنيًّا صادق النزعة يحب لبلاده الاستقلال والحرية .

هذا هو الرجل العصامي الذي جمع الأستاذ انطنيوس يافث آثاره من خطب ومقالات وبحوث في هذين المجلدين باسطاً تاريخ حياته بسطاً شافياً ، فذكر نسبه ، ومولده . وتنقيفه ورحلته ، ونبوغه في العلوم ، ونجاحه في الاقتصاد ، ووصف أدبه وتواضعه ، وكرم خلقه ، واستقامته ، ونزاهته ، وبره بوالديه ، ووفاءه لأصدقائه ، وحسن معاشرته لزوجته ، واجادة تربيته لأولاده ، الى أن انتقل الى رحمة مولاه في سنة ١٩٢٤ تأجمت الصحف في لبنان وسورية والمهجر على رثائه وأشادت بفضائله . أسكنه الله منازل الأبرار ، وجعل من سيرته نبراساً يستضيء به الشباب في الحياة .

قصة الالياذة

للسيدة عقيلة سلام الخالدي : ٢٧٠ صفحة — المطبعة العصرية بالقدس

قبل تسع عشرة سنة كانت مدينة يبرود تتفاخر وتزهو بمجلة « الكشاف » التي ضربت رقماً قياسيًّا عالياً بطلاوة بحوثها وروعة مواضيعها ، إذ كانت مسرحاً لأقلام أعلام بارزين في البسيط العربي كالأثري والزهاوي من بغداد ، وكردعلي والمغربي من دمشق ، والريحاني

والفاخوري من بيروت ؛ وعبد الله مخلص والنشاشيبي من بيت المقدس .

وفي عداد هذا الرعيل الطيب النوح ، المعطر الشذا ، كانت السيدة عنبرة سلاّم الخالدي قرينة الأستاذ المربي الكبير احمد سامح بك الخالدي ، تنشر نفثاتها الطيبة تباعاً من المجاهرة يوم كانت تطلب العلم في جامعة لندن ، فكنت مسحوراً بطلاوة موضوعاتها وروعة أسلوبها ورجوت لها من ذلك اليوم مستقبلاً أدبيّاً باهراً

« . . . وإن في نساء[1] هذه الأمة ، فوق ما تظن ، عبقرية مستترة ، بقيت لي بوادرها منذ أعوام ، وكان لي حظ مرافقتها منذ هبت ، يا لروعتها عند ما تروغ وتزبد ، جائشة كالإعصار الثائر ، ويا لأنوثتها المستحبة ، تخالف سنن الطبيعة ، وتقنع بالصمود عند ما يوضع الخطاء ، وتسد المنافذ ، وتحكم الأقفال ! ! ، ولكنه صمود يتلوه تدفق واصرار في غير زهو وادعاء ! » .

هكذا ظهرت عنبرة سلام ورفيقات لها ، ظهرن ثم اختفين وظهرن ثم ازوين ، وها هي ذي أصواتهن الحلوة تعود الى المنبر النسائي بفعل القوة العاطفية الدافعة الى التعبير

ودارت الأرض دورتها حول الشمس . . . وما هي إلاّ سنوات قلائل حتى كانت السيدة عنبرة من نصيب بيت المقدس ، فلم يقف إنتاجها — كأم — عند حدّ . . . وقام مسؤولية الزواج وواجبات الأبناء ، بل استطاعت تلك السيدة النابهة أن توفق بين شؤون منزلها ورغبة قلبها ، وكان آخر ما أضفاه ذلك اليراع الخصب على خزانة الأدب العربي ترجمتها (الياذة هوميروس) عن كتاب « قصة الالياذة » بالانكليزية لألفرد كنرش أستاذ اللاتينية في جامعة لندن ، فجاءت ترجمة السيدة الخالدية محفة رائعة تتسم بإشراق الديباجة وطلاوة الأسلوب مما يجعل الكتاب جديراً بأن يحتفظ به كل مثقف

وهذه القصة تسرد تفصيل وقائع الخصام بين زعيمين كافا طليعتين في الحرب وما أنتجه خصامهما من كوارث لأصدقائهما . وقد قال أحد شعراء الرومان « ان الالياذة بتقديمها الأمثال عن عظماء وهم يعملون تعلّم ما هو شريف وما هو شائن أفضل مما يعلمه كل الفلاسفة النظريين » .

ولو حظي كل قطر عربي بجماعة طيبة كالسيدة عنبرة في جهودها لأقبل ليل العرب . وقطعوا شوطاً بعيداً في مضمارهم الاجتماعي ، ولكان الوعي القومي غيره في بلاد تتنفس سبيل النجاة والانطلاق من كل قيد وإسار ! .

(بيت المقدس) « البرق الطلق »

---

(١) من كلمة نشرتها الاديبة السيدة سلمى صائغ عام ١٩٢٨

فهرس الجزء الرابع

من المجلد التاسع بعد المائة

١٦٩ هذي هي الأغلال : اسماعيل مظهر

١٧٣ أحدوتة الأسد الظبي : الشيخ زكي

١٨٥ تحول النمو التدريجي الى انقلاب في الثورة الفرنسية : ع . ش

١٨٨ ميزان الحكمة للخازن : فؤاد جيمان

١٩٣ العقم في المرأة : الدكتور عبده رزق

١٩٧ انتظار (قصيدة) : عدنان مردم بك

٢٠٠ كيف تحفظ صحتك : الى السعادة : فهمي عطا الله

٢٠١ هل عذبتنا الحرب : الياس يعقوب

٢٠٩ ابني (قصيدة) : شاعر البرازي

٢١٠ الكيمياء عند العرب : شريف الشاشيبي

٢١٥ السنة الشمرية وشهورها : رفيق التميمي

٢٢٢ عيد الميلاد : تأليف انتوني تشيكوف : ترجمة سليم تاوضروس الاميوطي

٢٢٨ مكتبة المقتطف = مقدمة في علم الاجتماع : احمد الشرباصي ١ — تأثير الحرب في الحضارة الاوربية ٢ — كتب وشخصيات : محمد عبد الحليم أبو زيد . التحليل ذكرى المرحوم نسمة بانت . قصة الاديانة : البدوي المظهر

لحق بالمقتطف

١ — ٥٦ في العلم الروحي الحديث : العجيبة الثامنة : بقلم أحمد فهمي أبو الخير

روائع المقتطف الشهرية

في العلم الروحي الحديث

العجيبة الثامنة

بقلم

أحمد فهمي أبو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

الكتاب موضع بصور فوتوغرافية

جميع حقوق الطبع محفوظة للمقتطف والمؤلف

الطبعة الاولى

مطبعة المقتطف والمقطم

١٩٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يكاد ينقضي قرن على « الروحية » بعد أن اتضحت معالمها العلمي الجديد الذي حاكه دعاتها — علماء ووسطاء — ناسجاً ملتئماً بالآيات البينات يدعمها التجريب العلمي الدقيق .

ومن الوسطاء الذين خضعوا لذلك التجريب العلمي الدقيق ذي الأسلوب الكامي سيدة بوسطن أو شهيدة بوسطن المعروفة باسم « رجري » . وهي التي أخرست بتجاربها ألسنة أشد العلماء الماديين عناداً ، وهي التي فضحت بحق « هوديني » عدوّ الروحية غفر الله له ، وتركته مدحوراً مغلوباً على أمره .

وهذا كله سيجيء بحق « العجيبة الثامنة » .

وكان على رأس جمعية البحوث الروحية الأمريكية في احدى فترات ذلك التجريب العلمي عالم نابه بارع وقانوني ضليع هو العلاّمة وليم هـ . باطون William H. Button فما نجحت تلك الإختبارات التاصية لم يسعه إلاّ أن يطن اقتناعه بصدق الظواهر الروحية ، فقربل من أهل الجنود بسيحة الاستكبار . وقال عؤلاء كدأبهم : خادع وخدوع . وحدث أن قابل باطون فيما بعد العلمي الإنجليزي البارز والداعية الروحي الكبير هانين سوافر Hannen Swaffer فسأله رأيه في ذلك الإستكبار ، فأجابه بما سبق أن أجاب به كثيرين وما نشره بعد في كتابه النفيس « قصتي الكبرى » الذي ظهر في أواخر سنة ١٩٤٥ ، قال : —

« اذكر دائماً أنك إذا وجدت في الطريق ماسة صغيرة فلك أن تهبها أو تبيعها دون أن تجني من ذلك همّاً ولا نصباً . ولكنك إذا وجدت كتلة ماس كبيرة فان حياتك تصبح عبئاً ثقيلاً عليك . ذلك أن كثيرين من الناس سيقولون إنها زجاج لأنها من كبر

الجرم بحيث لا يمكن أن تكون ماسة ، على حين يحاول سرقتها واغتصابها منك كثيرون غير هؤلاء لتأكدهم من إنها ماسة حقيقية . وقد يطاردك رجال الشرطة ، وقد تتهم بأنك سرقتها وتلاقي كثيراً من المزعجات . فإما ألقيتها في نهر وإما ألقيت قصتك فيه . وأنت الآن قد امتلكت حقيقة كبرى ، فإن كنت لا تحب الحراب والكفاح فلك ذلك ، وإنما كان ينبغي أن تقرره قبل أن تبدأ بحثك وتقصيك . وأما وأنت رجل نزيه شريف فإنك لابدّ فاعل ما أعلم أنك فاعله وهو أن تلصق بالحق وتتمسك به » .

والحقائق التي سيطالعها القراء في « العجيبة الثامنة » ليست من نسج الخيال ، بل هي أحداث واقعية خاضعة لقوانين إلهية أزليّة تسري وتعمل ، وقد أصبحت موضوع دراسات جامعية بدأت في جامعة بون Bonn في ألمانيا وفي جامعة كمبردج في انجلترا ، ثم صرت الى الجامعات الأخرى في أوروبا وأمريكا . فليس سحراً ما سيطالعه قراؤنا في الصفحات التالية بل نتائج حتمية لقوانين الله الأزلية الطبيعية التي تتكشف للعقل العلمي الفاحص آونة بعد أخرى وعلى قدر نضجه .

والله أسأل أن يلهمنا التوفيق والسداد

أحمد فريد أبو الخير

القاهرة يوليه سنة ١٩٤٦
شعبان سنة ١٣٦٥

مفردات وشرحها

١ — إكتوبلازم Ectoplasm مادة تنبثق من جسوم الوسطاء وتساعد على إحداث الظواهر ، وقد وصل العلماء الى تحليلها ميكروسكوبيًّا والى تصويرها بالأشعة تحت الحمراء فوتوغرافيًّا وسينمائيًّا .

٢ — تلبثي Telepathy أي إيصال تأثيرات من أي نوع ، من عقل الى آخر بعيداً عن مجاري الحسّ المتعارفة .

٣ — جلاء بصري Clairvoyance أي قدرة الانسان على الرؤية بشكل يخالف العرف وبدون استعمال الحواس العادية فيخترق بصره الحجب المعتمة ويرى ما وراءها متعدياً حدود الفضاء والزمن .

٤ — جلاء سمعي Clairaudience أي قدرة الانسان على ادراك التأثيرات الصوتية بما يخالف العرف ، وهو كزميله الجلاء البصري لا يتقيد بأبعاد الزمان والمكان .

٥ — سيكومتري Psychometry هي عند السيكولوجيين قياس مدة الحالات أو العمليات العقلية وعدّها ، وعند الروحيين تقصي أثر شخص بطريق سلعة من سلعه . والمقصود هنا في هذا البحث هو التفسير الروحي لا السيكولوجي .

٦ — غيبوبة Trance حالة نوم أو لا شعور ظاهري تعتري الوسطاء الروحيين ويصحبها تغييرات فسيولوجية كتيبس الجسد مثلاً ، ويكون الوسيط في حالة امتحواذ ، أي أن روحه تكون قد غادرت جسده مع بقائها متصلة به بحبل أثيري ، وفي نفس الوقت تكون روح أخرى قد هيمنت على جسده .

٧ — اختير التعبير «بحث روحي» مقابلاً لكلمتين الانجليزيتين "Psychical Research"

ش (١) مرجري (العجيبة الثامنة)

نقلا عن « موسوعة الفلم الروحي » الانجليزية

العجيبة الثامنة

١ — تمهيد

يتحدّث الآريون عن عجائب الدنيا السبع التي أنشأها الأقدمون في سالف الأزمنة في جهات متفرقة في هذه الأرض ، وكلها من مبتكرات عقول رجال الفنون والعلوم والصناعات في تلك العصور الغابرة . أما العجيبة الثامنة التي نحن بصددها فهي بشر مثلنا — هي سيدة تمت على يديها أحداث جسام توطدت بها أركان أحدث العلوم ، ونعني به العلم الروحي الحديث الذي شقّ لنفسه الطريق في الوقت الحاضر حتى وصل الى الجامعات والمجامع العلمية المختلفة في كل من أوربا وأمريكا .

هي مسز مرجرى كراندون Mrs. Margery Crandon عقيلة الطبيب الجرّاح الدكتور ل . ر . ج . كراندون Dr. L. R. G. Crandon أستاذ الجراحة بمدرسة الطب بجامعة هارفارد ، ومؤلف الكتاب الحجة في موضوع العلاج بعد الجراحي Surgical after treatment هي وسيطة بوسطن الروحية الشهيرة التي خصها الله بقوى روحية تكاد تكون فذّة ، والتي حباها الله فوق ذلك الطلاقة والجاذبية والخلق السمح الكريم والكرم الحاتمي . اختبر وساطتها أفراد ولجان وجامعات ، وتعرّضت في تلك الاختبارات لقسوة ذلك « الأسلوب العلمي » المقول به أو بعبارة أصح ذلك « الهوس العلمي » الذي يخرج البحث العلمي عن القواعد والأصول ، وخرجت كما سيجيء من هذه الاختبارات كلها ناجحة مرفوعة الرأس ، وفازت بشهادة العلماء على صدق ظواهرها . وهذا عن ذلك جماعة الثرواء إما لظروف خاصة بهم ، وإما لحقد أكل قلوبهم . ولم يتورّع بعض هؤلاء حتى عن الدس الدنيء لتشهير بها كي يكسبوا من وراء ذلك شهرة على حسابها . ولا إخال نزعة الكراهية التي صادت بعض

مختبري وساعتها إلا نجاح هذه الوساطة من جهة ، وشهرة زوجها الطبيب ومهارته في صناعته من جهة أخرى . ولذلك يأولون الذي أفضوا النشاء والتشكيك مرتقاً لهم ، يريدون بذلك التظاهر بالدفاع عن آراء وقضايا نظرية صائبة . وهؤلاء يبدأون بافتراض أن كل شيء لا يتفق وتفسيرهم للقوانين الطبيعية المتعارفة لا بدّ أن يكون وهماً أو خداعاً وتدليساً . وكأن تلك القوانين الطبيعية المتعارفة هي كل القوانين التي على مقتضاها يسير الكون بشقيه المنظور وغير المنظور . واذا قرأت لهؤلاء النقّاد ما كتبوا لمست تحيزهم ظاهراً . ووجدتهم يتلمسون الخطأ حيث يتوهمونه ، على حين يمرون بالبيئة القاطعة ولا يشيرون اليها . وبذلك يحققون القول المأثور : ليس هناك من هو أشد عمىً من ذلك الذي لا يريد أن يبصر ، ولا من هو أشد صمماً من ذلك الذي لا يريد أن يسمع . وكما قال العلامة فيلر Prof. Schiller الاكسفوردي : « ان أقوى البينات لتخفق في إقناع العقل الراغب عن التصديق أو حتى الراغب عن التثقيف » .

ويقول هؤلاء المتعنتون بآرائهم إنما يرونه يخالف علمهم وما عرفوه عن صدق القانون الطبيعي ، فهم برغم رؤيتهم الظواهر تحدث مع كل الاحتياطات التي يتخذونها يرفضون قبول ما تقوم عليه هذه الظواهر من حقائق بحجة أنها تخالف القوانين المتعارفة . والغريب أن بعض هؤلاء يعترفون فيما بينهم بصدق تلك الظواهر الروحية ، ولكنهم يحجمون عن الجهر بذلك مخافة أن يضطرهم جهرهم بها الى التشهير بهم أو الى فقد مناصبهم ، إما بالاقالة ، وإما بالاستقالة ! وكأننا في القرون الوسطى !

ولو كانت مرحي امرأة فقيرة تستغل الوساطة في سبيل العيش لقلنا على الأقل ، ان طالب العيش ما تعدّى ، ولكنها لم تكن تتقاضى على عملها الوساطي أجراً ، بل لقد كانت تبذل هي وزوجها من ثروتهما المتواضعة البذل الكثير في نشر العمل الصالح الذي كشفته لها الوساطة الروحية ، وهذا عدا ما كانا يبذلانه سرّاً في سبيل البرّ والاحسان على فقراء بوسطون .

ولطالما تجادل نقّاد هذه الوسيطة الغيورة بعضهم مع بعض . ولكن هل استطاعوا أن يقيموا الدليل القاطع على وجود تلم أو عيب في أعمالها الوساطية ؟ كلاّ . ويلاحظ أن بعض الذين لا تتسع صدورهم ولا عقولهم إلاّ لبحث العلوم المتعارفة فقط يعتبرون البحث في العلم

الروحي جرعة . فهم والكهنة الأقدمون سواسية . وزاهم يرفضون قبول الحقائق التي لاتتناولها علومهم والتي تعجز عقولهم وعلومهم عن تفسيرها . وكان هؤلاء يهاجمون مرجري مهاجمة قاسية ودنيئة في بعض الأحيان ، ولكنها كانت تتلقى كل ما كان يوجه اليها ببشر وترحاب . وكثيراً ما هزأت في رفق ورقة بأولئك الذين كانوا يجرحون أعمالها الوساطية بالكذب والدس والافتراء .

٢ — بدء وساطة مرجري وتنبيها

قرأ الدكتور كراندون ما كتبه العلامة الدكتور كروفورد Dr. Crawford أستاذ الهندسة الميكانيكية في جامعة بلفاست عن الأحداث التي تمت في الجلسات التي عقدها مع الوسيطة كيت جوليجر Kate Goligher ، فتطلع إلى أن يجري هو وزوجته بحوثاً مطولة .

ش (٢) صورة ستنسون ولتر شقيق مرجري « المتوفي » والروح المهيمن عليها
« نقلا عن مجلة سايكك نيوز »

وحدث أن زارت مرجري وسيطاً للجلاء البصري لحدثها عن أخيها ولتر ستنسون Walter Stinson الذي توفي سنة ١٩١١ في حادث من حوادث السكة الحديدية ، وكان عمره إذ ذاك ثمانية وعشرين عاماً . واستطاع الروح ولتر خلال وسيط الجلاء البصري ذاك أن يثبت شخصيته لشقيقته ، ولما تم له ذلك طلب إليها أن تعقد جلسات في منزلها . وفعلاً

عقدت الجلسة الأولى في صيف سنة ١٩٢٣ ، وظهرت وساطة مرجري بوضوح في هذه الجلسة ؛ لأن المقعد الذي اعتاد الحاضرون أن يتخذوه لأنفسهم لما وصلت مرجري ينهما عليها . ونهد الروح ولتر ضيقته فتمشى الوساطة عندها بالتدريج ، وكفلها بإرشاده ورقابته حتى استطاع إحداث الظواهر الروحية المختلفة على يديها كما سيجيء . وقد تضمنت هذه الظواهر الدق ، والتصفير ، والتجسد ، والصوت المباشر ، والمجاريات والمأخوذات ، والكتوبلازم بحيث يمكن تصويره فوتوغرافيًا ، ومرور مادة خلال مادة ، والكتابة بلغات مختلفة ، والرسائل المجزأة التي تعطى أجزاؤها لجماعات مختلفة تفصل بينها مسافات شاسعة ، فإذا ما ضمت الأجزاء كونت رسالة دقيقة مفهومة . وكان ولتر عند هذا كله روحاً مخلصاً ناصحاً صادق النصح ، عبرياً مرحاً يملأ جوّ الجلسة سروراً إذا ما استشعر من الحاضرين ضجراً ، وكان في بعض الحالات يبتكر الاختصار ابتكاراً . فلما استقرت الوساطة مرجاني ما أصبح المنزل رقم ١٠ بشارع لايم Lime Street بلندن مقصد العلماء والبحّاث وزوارهم يحجون إليه من كل صقع .

٣ — بصمة الإبهام

سأل الروح ولتر ذات يوم جلساءه مرجري من البرهان الذي يطلبونه لكي يثبت لهم أنه هو ولتر الذي كانوا يعرفونه وهو في الحياة الدنيا ، وأنه الآن يتابع الحياة في سعادة وخلود أخرى في الكون ، فقالوا له « نريد بصمة إبهامك لأن بينة البصمة لا يمكن أن ترد » .

فلم يتوان ، وطلب إليهم أن يجيئوه بشمع وماء ساخن . وبدأ تجاربه في البصمات ، وأعطاهم مجموعة بصمات لا لإبهام واحده بل لليد كلها . وقد كانت تجارب البصمات تلك منار نقاش جديد لعلّ الأرواح كانت ترمي إليه ، لأنه كلما كثر نقاش رجال العلم كثر الحديث حول الروحية وزادت من ثمّ معرفة العالم العلمي لمرجري ووساطتها الفذة .

ولم يكن لمرجري دخل البتة في إحداث تلك البصمات كما قال الكابتن فايف Fife خبير البصمات في بحرية الولايات المتحدة في بوسطن ، لأن تلك البصمات حدثت مع اتخاذ أشد حيطة ممكنة . وقد كانت البصمات في مبدأ الأمر موجبة أي من النوع المادي . وبعد ذلك

أعطى ولتر مختبري بصمته بصمات ممكوسة الوضع ، وهي التي تسمى بصمات المرآة .

وقد صارت تعطى البصمات صالبة ، تظهر فيها الخطوط البارزة غائرة والغائرة بارزة . وعدا هذا وجدت صورها الممكوسة في المرآة مطابقة للبصمات العادية . وقد بلغ عدد البصمات التي أعطاها ولتر ١٣١ بصمة ، وقد قام بتحقيق هذه البصمات كلها رجال الشرطة وتحقيق الشخصية في واشنجطن وبوسطن وبرلين وميونخ وفينا وسكوتلند يارد بلندن . وتمت المضاهاة على بصمة لولتر كان قد تركها على أحد أمواس الحلاقة ، وكان قد استعمله يوم وفاته في ذلك الحادث الذي أودى بحياته . وأسفرت المضاهاة عن أن بصمة ولتر وهو في عالم الروح كبصمته وهو في عالم المادة .

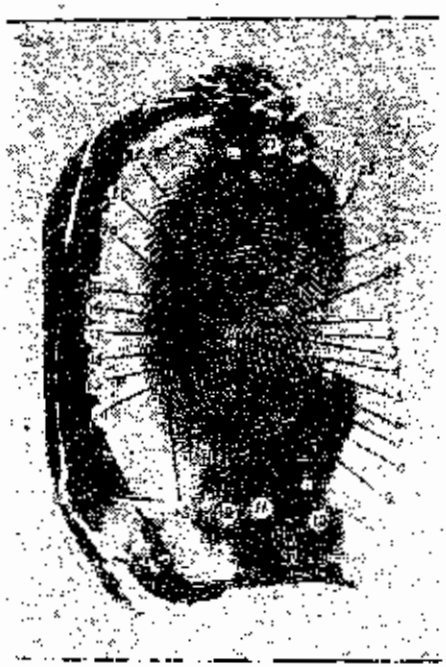

ش (٣) بصمة ابهام الروح ولتر

نقلا عن « موسوعة العلم الروحي » الانجليزية

وأراد أن يقطع الطريق على أولئك الذين يحترفون الشك والتشكيك ، وهم الذين يشكون حتى في أنهم شاكون ، فطبع يديه المتجسدتين في الشمع مظهراً بصمات أصابعه كلها

وتعاريج المكتشفين . ومع ذلك رأى دعاة الشك والتشكيك هؤلاء أن يجروا هذا أيضاً ، متجاهلين قيمة هذه التجربة من أن مجرد حدوثها مع الرقابة الشديدة المفروضة أمرٌ معجز في ذاته ، فلم يقروا إن البصمات قد أعطيت بشكل خارق . بل قالوا في جرأة غريبة إن البصمة ليست برهاناً قاطعاً على تحقيق الشخصية ! ! ولو كان صدقاً ذلك الذي يقولونه لكان معناه إنتهاء أمر بصمات الأصابع كوسيلة من وسائل تحقيق شخصية الجناة والمجرمين .

ورأى ولتر أن يرد على ذلك بتجربة اخرى حاسمة ساخرة . ذلك أنه لما توفيت في باطوم تدعى فرانسس جراي Frances Gray إحدى قريبات مرجري ، في ليلة انعقدت فيها إحدى الجلسات ، جاء ولتر بروح هذه المتوفاة دون علم أحد من الحاضرين حتى بحدوث الوفاة ، وساعد على أخذ بصمتي إبهاميها الأيمن والأيسر . وما كاد ولتر ينتهي من ذلك حتى أخبر الحاضرين بالأمر ، فقام الدكتور كراندون على الفور واتصل تليفونياً بزوج تلك السيدة المتوفاة حديثاً ، وأخبره بما حدث في الجلسة ، وسأله أن يأخذ بصمتي إبهامي الجثة الأيمن والأيسر . وحينما تناهى الخبراء بصمات الجثة ببصمات الروح في حجرة التحضير أعلنوا أنها متطابقة .

وثمة اختبار آخر من نوع آخر ، وكان اختباراً رائعاً . ذلك أن القاضي ستانتون هل Judge Stanton Hill الأمريكي كان من أعضاء تلك الدائرة الروحية . فلما رأى كثرة اللجاج والحجاج حول البصمات قام وسجل بصمته وهو على قيد الحياة ، وطلب أن تحفظ في سجل الى بعد مماته . وكان ذلك في سنة ١٩٢٧ . ثم دار الفلك دورته وتوفي القاضي هل بعد ذلك بثلاث سنين ، وجلسات مرجري تنعقد في مواعيدها . فلما مضت على وفاته ستة أسابيع حضر وهو روح متجسد في إحدى تلك الجلسات ، وعرّف الحاضرين بنفسه معلناً أنه جاء لكي يبرّ بوعده ، وطلب أن تؤخذ بصمته وهو روح . وفعلاً أخذت البصمة الجديدة وضوهيت بالبصمة المحفوظة فاذا البصمتان سواء !

ولما كانت هذه البصمات نوعاً جديداً ومدهشاً من براهين اثبات الحياة بعد الموت فقد هوجمت من مناهضي الروحية مهاجمة عنيفة ووضيعة في آن واحد . ورأت جمعية البحوث الروحية الأمريكية أن تفحص الأمر ، واستخدمت لذلك رجلاً يدعى ددلي E. E. Dudley كان ملحقاً بخدمة الدكتور كراندون في المنزل ، طالبة اليه أن يساعد في إعداد المواد اللازمة

العلمات . وفجأة أصدر هذا الرجل كتيباً صغيراً يقول فيه إن بصمة الابهام الأيمن ولتر تضاهي بصمة الابهام الأيمن لطبيب الأسنان الذي يعالج أسنان مرجري وأحدث هذه الكتيب بضيعة الحال ضجة ، ومرّ مناهضو الروحية لذلك وتصايحوا ، وواحوا متقدماً وسلفاً يتعقون كالبوم والغربان .

ش (٤) مرجري واقفة في الغيبوبة وقد أمسك بيديها اثنان وترى أمامها يداً متجسدة للروح ولتر

نقلا عن مجلة « سايكك نيوز »

وازاء ذلك قررت جمعية البحوث الروحية الأمريكية أن تقوم بفحص شامل للمسألة وانتهى فحصها إلى أن بصمة ابهام يمنى ولتر التي اتخذها دللي أساساً لدعواه الكاذبة موجبة لاسالبة كما قال . ومعنى هذا أن بصمة ابهام ولتر لا يمكن أن تكون مطابقة لبصمة ابهام طبيب الأسنان . ولكن دللي الكاذب المكدود لم يقف عند ذلك بل عاد يؤكد من جديد أن هناك شبهاً بين ابهام يد ولتر اليسرى وابهام يد الطبيب اليسرى . وأثبت الفحص مرة أخرى كذب هذا الادعاء ، لأن بصمة ابهام اليد اليسرى — وهي البصمة التي اتخذها دللي وسيلة لتدعيم دعواه — كانت فذة لا مثيل لها بين مجموعة البصمات كلها التي طبعها ولتر . وليس من بين بصمات ابهام يسراه المحفوظة عند جمعية البحوث الروحية الأمريكية مايضاهي تلك البصمة المزعومة — وعلى ذلك قررت جمعية البحوث أن دعاوى دللي « ما زالت معروضة

[illegible] والدوس . وعادت الجمعية فأخذت النظر في كل أعمال دندي هذا الذي كان أجراها « أعمالاً خطأ كبيراً وخطيراً في العمل الذي وكل اليه القيام به .

ش (٥) بصمة يد الروح ولتر

عن مجلة « سايكك بيوز »

ولما سئل ولتر عن رأيه في كل ذلك الذي زعموه قال انه زعم فاحد مضحك لأنه لا تطابق البتة بين بصمتي ابهامه وبصمتي ابهامي طبيب الأسنان . وبعد ذلك أخذت بصمات كاملة بالمداد وبالشمع لطبيب ، وطلب الى ولتر أن يعطي بصمات كاملة ليديه الاثنتين في الشمع لاجراء مضاهاة . وفيما يلي بعض ما قالته جمعية البحوث الروحية الأمريكية في تقريرها عن هذه المسألة . قالت : —

« في ملسة جلسات تعد من أهم الجلسات التي عرفت في البحث الروحي أظهر ولتر في شمع أعدته له البحاث عدداً كبيراً من بصمات كاملة أو جزئية لكل من يديه اليمنى واليسرى » .

ومضى التقرير يقول انه قد تم تسجيل هذه البصمات بحضور اثنين من كبار رجالات العلوم وخبير في البصمات ، وكانت بصمات ولتر التي حصلوا عليها إذ ذاك مضاهية لنفس البصمات التي اعتاد طبعها في مختلف الجلسات السابقة . وكانت في الوقت ذاته مخالفة تماماً لبصمات طبيب الأسنان .

وبذلك انتهت تلك التهمة التي جرت وراءها خيراً ، وأظهرت ما يمكن أن يواجه الوسطاء ويعترض سبيلهم ، ودلت على أنه كلما كان عملهم الوساطي أكثر اتقاناً وأكمالاً كانت المعركة في سبيل الدفاع عنه أقسى وأعنف . وبالطبع لو كانت مزاعم دللي تحققت لانهارت تجارب البصمات كلها ، ويكون باطلاً ذلك العمل المضني الذي قام به رجال تحقيق الشخصية في غير بلد بعمد بصمات ولتر ، وذلك لأن رجلاً ماجناً أو مأجوراً أعدّ كتيباً صغيراً حاول فيه — عن سوء قصد — أن يثبت أن بصمات الأصابع التي سجلها روح بالوسائل الروحية تطابق بصمات رجل له معرفة بالوسيطة وزوجها ، أو لأنها من زبائنه وعملائه باعتباره طبيب أسنان !

٤ — تحقيق عالم علمي

من البحّاث المحترمين الذين قصدوا منزل الدكتور كراندون لفحص وساطة مرجري العلامة الدكتور روبين جون تليارد Dr. Robin John Tillyard كبير العلماء المشرفين في الحكومة الاسترالية . وقد أراد أن يعقد بمفرده جلسة مع مرجري ، وكان في طلبه هذا شيء من النفوذ وعدم اللياقة . ولكن اجابةً لرغبة سير أوليفر لودج Sir Oliver Lodge وكان من المعجبين بأعمال مرجري ومسلك زوجها الدكتور كراندون سمحت بعقد جلسة انفرادية مع الدكتور تليارد . وفيما يلي الخطاب الذي كتبه سير أوليفر لودج الى الدكتور كراندون في هذا الصدد حينما سأله الدكتور تليارد التوسط لكي يجاب طلبه : —

« إن تليارد يرى أن السماح له بجلسة انفرادية يعقدها مع مرجري في حجرة يعدها هو بنفسه يقلل من فرص اتهامه بالتآمر والتحالف ، وهو يظن أنه لو حصل على نتائج إيجابية تحت هذه الشروط فان المتفككين لن يستطيعوا اتهامه بالتآمر ، لأن ذلك سيكون اتهاماً سخيفاً نظراً لمركز الرجل باعتباره من رجال العلوم » .

ووافق الدكتور كراندون على ذلك ، وعقدت الجلسة في منزل طبيب لا يمت بصلة لدائرة كراندون الروحية . وأخذ تليارد على عاتقه فحص الملابس التي ارتدتها مرجري أثناء عقد الجلسة ، وقام فعلاً بفحصها فحصاً دقيقاً ، كما فحص كذلك كل الأدوات الخاصة بأخذ بصمات

الأبهام . وجهز بنفسه الشمع الذي يستعمل في هذا الغرض بعد أن ميزه بعلامة خاصة . ثم أجلس مرجري فوق كرسي وشدّ وثاقها وربط ساعديها وربتي العاريتين بذراعي الكرسي ، ثم أحاط راحتيها بعد ذلك بأشرطة لصق ، كما ربط ساقيها وقدميها بقوائم الكرسي . وبعد أن حزمها بهذه الكيفية حفظ حول الأربطة بقلم أزرق حتى إذا ما حركت الوسيطة يديها أو قدميها خلال الجلسة فضحها بسهولة تغير مواضع الأربطة وعدم انطباقها على التخطيطات الزرقاء .

وعلى هذا النمط عقد تلبارد جلسته الانفرادية مع مرجري ، وحصل على ثلاث بصمات لروح ولتر ، وبلغ من تأثره واقتناعه بصدق تجربته أن كتب لسير أوليفر لودج بعد انتهاء الجلسة بضع ساعات خطاباً قال فيه : —

« لقد كانت تلك الجلسة في نظري أعجب جلسة حضرتها . وأظن أن الترتيبات التي اتبعناها كانت قاسية من الوجهة العلمية ، ولكنها في الوقت ذاته سجلت أعجب النتائج في تاريخ البحث الروحي كله . ويخيل إليّ أنه يستحيل قطعاً أن يؤخذ على هذه النتيجة العجيبة أي ثلم أو نقص . ولقد كانت هذه الجلسة بالنسبة إليّ الغاية القصوى في بحوثي الروحية كلها . وأستطيع الآن أن أقرّر أنه لم يبق بعد ذلك زيادة لمستزيد ، ومن ثمّ سأعود الى استئناف عملي الأصلي في علم الحشرات » .

وكان طبيعيًّا بعد أن أجرى هذا العالم الباحث تلك التجربة العلمية العظيمة الناجحة أن تتوق نفسه لاخبار اخوانه العلماء بما وفق إليه من كشف . ولهذا كتب الى مجلة « نايتشر Nature » العلمية بياناً مفصلاً لما تمّ في جلسته الانفرادية تلك مع مرجري ، وما تمّ كذلك في جلستين أخريين . وقد كان هذا شأنه أكبر عظماء يتقدم به العلم ، سالكاً نفس الطريق الذي سلكه من قبل كروكس Crookes ورسل ولاس A. R. Wallace ولودج وجمهرة كبرى من البحّاث غير هؤلاء . ولكن مجلة « نايتشر » أبت أن تنشر رسالة تلبارد أو أن تشير اليها بكلمة . وبعد ذلك بعامين كتب مقالاً آخر نشرته له هذه المجلة في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ ، وكان هذا المقال آخر ما كتبه في الموضوع ، وقد قال فيه :

« تجربة لتجارب أخرى أجريت مع وسيطة برمنغهام الشهيرة مسز كراندون ، مرجوني أقرّر أن برهاناً علمياً على الحياة بعد الموت قد أمكن الحصول عليه أخيراً » .

وفي شرح برهانه هذا بالتفصيل قال :

« إن فرض الغش والتدليس قد استبعدت بطريقتين : أولاهما فرض الرقابة التي تستدعيها طبيعة كل تجربة وذلك لتجنب تهمة الغش الصريح ، والثانية ابتكار تجارب هي في صميم طبيعتها إما أن تكون مستحيلة على الآدميين الذين على قيد الحياة ، وإما أن تكون قد تقرّرت استحالتها إذا اتبعت في إجرائها الوسائل المتعارفة . وقد أمكن إفادة إجراء هذه التجارب الفنية بعد الفنية ، وكانت النتائج واحدة وأحصر ما أمكن الحصول عليه من البراهين الرئيسية الدالة على بقاء الشخصية بعد الموت في الظواهر التي يستحيل على بني الانسان الأحياء إحداثها بالطرق المتعارفة ، سواء أكانت عقلية أم جسمانية .

« وقد ثبت أن شخصية ولتر مستقلة عن شخصية الوسيطة ، وذلك لأن ولتر استطاع في لحمة الظلام أن يتناول ملعقة دقيقة ، وأن يضعها في أماكن دون أن يصيبها أي تلف . بل استطاع كذلك أن يعرف ويختار أموراً لا يعرف هيتشنغ عنها أي شخص في الوجود ، فبرهن بذلك على أنه لم يعتمد على التلبثي أو ما يكون مخزوناً من المعارف فيما يسمونه العقل الباطن لأي انسان . وأخيراً استطاع أن يحدث في الظلام نصفات لا يباهيه في الشمع بأسرع مما يستطيعه رجل عادي في بهرة الضوء » .

وكانت كلماته الأخيرة في هذا الصدد : —

« رأيي الأخير هو أن ولتر هتشنسون الذي توفي سنة ١٩١٢ قد أثبت بطريقة علمية اثباتاً تاماً دعواه أن شخصيته باقية حيّة بعد موته الجسماني » .

ومن هذا يتضح أن تليارد قد تكلم في صراحة العالم الصادق الواثق في بحثه وتقصيه الحقائق العلمية التجريبية . وقد علقت « بانشر » في مقالها الرئيسي في ذلك العدد الذي نشرت فيه مقال تليارد قالت : « إننا نحن أنفسنا نحتفظ بعقل مفتوح إزاء كل ما يعمل في سبيل تقدم العلم والمعرفة ، والوصول الى الحقيقة في جميع مناطق النشاط الذهني » .

ثم قالت في نهاية مقالها ذاك : « ونحن وان كنا لا نقول ان تليارد قد صنع شيئاً كان

يجب على الرجل العقلي أن لا يصنعه . إلاّ أننا نقول إنه إذا تكرر مرة أو مرتين يحق أن يبني من ذلك استنتاجاً صحيحاً وطريقاً ممكناً ، وأنه يستطيع أن يعد الطريق ليحدث صوتاً وكلاماً مثل هذه الوسائل فإنه يكون من السهل قبول معظم الظواهر المخالفة للمألوف التي وجه إليها تيارد انتباهه » .

ترى ألم يبلغ « نايتشر » بعد أن تيارد وكثيرين غيره قد أتوا ذلك ؟ لقد بلغوا دون شك لأن ظاهرة « الصوت المباشر » أصبحت كثيرة الشيوع حتى لقد قال الباحث الروحي دنيس برادلي Dennis Bradley في كتابه المفيس « حكمة الآلهة » : « إن اتصال مع الأرواح بأصواتها المباشرة في هذا القرن سيكون في بساطة التراسل بالتلغون أو اللاسلكي » .

٥ — الصوت المباشر

بعد أن مضى على تدريب مرجري على الفيبوية وقتها ما يقرب من شهرين جيء في ركن الحجرة البعيد عن مكان جلوسها صوت خافت مستمر كالبسبسة ، ثم جعل هذا الصوت يتزايد في الجلسات المتتالية حتى أصبح قريباً من الهمس ، واشتد هذا الهمس بحيث صار لمستمعيه كأنما هو خارج من حلق رجل ، ورأى كل من الدكتور كرمستوك Dr. Cormstock والدكتور كارنجتون Dr. Carrington وملكولم بيرد Malcolm Bird ، وهم من أعضاء لجنة مجلة ساينتفك أمريكان « Scientific American » لفحص وساطة مرجري ، أن يضع يده فوق فم الوسيطة على التناوب في جلسات متعددة فلم يحل ذلك دون حدوث الهمس واضحاً ، وكتبوا اشهاداً بذلك . ورأى المجربون المتحذلقون أن يملأوا فم الوسيطة ماء . فلم يحل هذا الاجراء كذلك دون حدوث الصوت نفسه . وجربوا ذلك مرات ، وفي كل مرة كانت الوسيطة في نهاية الجلسة تنفث الماء من فمها المملوء به ، وما كان هذا ليجيء من معدة الوسيطة فيما نظن . . .

ولكن قطعاً لشكوك من رأى الدكتور هاوك رتشارد Dr. Hawk Richardson أن يبتكر جهازاً لمنع الوسيطة من الكلام خلال حدوث ظاهرة الصوت المباشر من جانب الروح ولتر . ويتألف جهاز منع الكلام هذا كما في الشكل من أنبوبة ذات شعبتين في كل

شعبة طرف مفتوح يطفو على سطح السائل الموجود في الشعبة . وتجلس الوسيطة ومعها مختبر واحد فقط . وكلاهما ينفخ لكي يحمل طرفي عمودي السائل في الشعبتين غير متساويين فيكون سطحا السائل في الشعبتين غير متعادلين أي في مستويين لا في مستوى واحد . وللحصول على ذلك يجب أن توضع القوهة الزجاجية لكل من الأنبوبتين بين الأسنان ، ويجب أن تغطى فيها الثلاثة تقريباً بالشفتين واللسان معاً . وبذلك لا تستطيع الوسيطة أن تتكلم أو تصفر مثلاً ، لأنه إذا حدث ذلك انقطع النفخ وتعادل سطحا السائل ، وظهر الطرفان المضيئان في مستوى واحد . ومع ذلك حدث أن تكلم راتر بصوته المباشر ، ثم انطلق صفيره في الهواء . وقد تم هذا في كل مكان عقدت فيه مرجري جلسة . وقد أثبت استخدام هذا الجهاز البسيط أنه لا دخل البتة لفم الوسيطة في احداث الصوت .

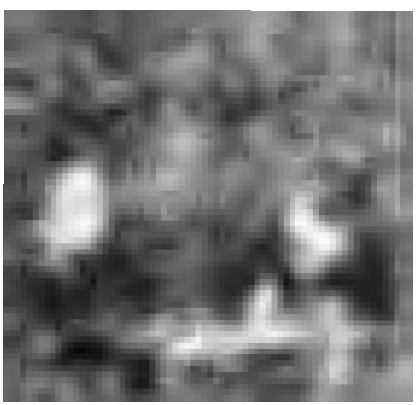

شكل (٦) — جهاز منع الكلام
تنفخ مرجري في إحدى شعبتيه وينفخ الدكتور رتشاردسن في الشعبة الأخرى
(عن كتاب « التذبذب الزوجي بين الثاني والثلاثين » وقد أصدرته جامعة كلارك)

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الدكتور رتشاردسن رأى أن يجري تجربته الأولى بهذا الجهاز في غير منزل مرجري ، ولم يسمح لأحد بحضورها . وقد أصر على أن يجريها بمفرده مع مرجري . وأسفرت تجربته الأولى تلك عن نجاح باهر ، وأثبتت له أن الصوت لم يصدر عن جسم مرجري ، وأنه مستقل عن كل ما يتعلق بالجانب التشريحي والفسيولوجي لجسمها ، وإن يكن وجودها أثناء التجربة ضرورياً .

ولكي يحدث هذا الصوت كان لا بدَّ من حدوث تجسد من نوع ما . وأظهر ولتر الفرصة المناسبة لكي يرى الحاضرين جهازه الصوتي هذا وفعلاً أراهم إياه . وسمح لهم بتصويره بالفوتوغرافيا وقال ولتر انه في حالة اجراء تجربة الصوت مع وضع اليد فوق فم الوسيطة وأنفها لا بدَّ له من وصل جهازه الصوتي هذا بأي جزء آخر من جسم الوسيطة ، وأضاف أن ذلك يستنفد منه مجهوداً كبيراً يمنعه من احداث ظواهر أخرى في نفس الجلسة . وما جهاز ولتر الصوتي هذا الا صندوق ربان أو ميكروفون من الاكتوبلازم المنبثق من جسم الوسيطة ، وقد ظهر في الصورة الفوتوغرافية فوق كتفها الأيسر ، موصولاً بأنفها بأسوة اكتوبلازمية .

شكل (٧) جهاز ولتر الصوتي

عن كتاب « تقدم الروحي بعد التأييد والمعارضة »

شكل (٨) جهاز ولتر الصوتي

عن « موسوعة علم الروحي »

أخذت الصورتان في جلستين مختلفتين

واخترع ثوروجود (Thurgood) جهازاً أدق وأحكم من جهاز رتشاردسن ، وهذا الجهاز يتألف من صندوق مكعب الشكل صنع بحيث لا ينفذ الصوت إلى داخله ، وقد صيغت جدرانه لهذا الغرض من جميع مواد مختلفة . ووضع بداخل ذلك الصندوق ميكروفون دقيق وحساس جداً يتصل بسلكين خارجين من الصندوق ، ويتصلان بمكبر صوتي موضوع في حجرة أخرى بعيدة عن حجرة الجلسة . ووضع الصندوق في حجرة التحضير بعد أن أحكم

اغلاقه بالاقوال . وبدأت الجلسة . وبينما كان الجالسون لا يسمعون هيئاً في الحجرة لمع صوت ولتر خارجاً من مكبر الصوت البعيد ، مثبتاً أنه لا بدَّ أن يكون قد وصل أولاً إلى ذلك الميكروفون الموضوع في الصندوق الذي لا ينفذ الصوت . وبذلك أمكن اثبات استقلال صوت ولتر اثباتاً تامًّا .

٦ — ظواهر أخرى تنفسية

لم تقتصر تجارب الدكتور رتشارد عن على الصوت فقط بل انه أجرى تجارب تنفسية أخرى ، فجاء بزجاجة ملئت نصفها بماء الباريتا ، وجهزها بأنبوبة للنفخ ، ووضع الزجاجة بما فيها فوق رف على بعد ثلاثين بوصة من فم الوسيطة ، فلم يكن ميسوراً من ثمَّ لها أن تنفخ فيها بفمها . وبدأ ولتر ينفخ فسمع صوت الفقاقيع في ماء الباريتا . ويلاحظ أن ذلك حدث وفم الوسيطة مشغول بالنفخ في جهاز الدكتور رتشاردسن سالف الذكر ، فهي من ثمَّ لم تكن تستطيع الكلام ولا النفخ في ماء الباريتا . وقد تكون راسب أبيض شوكربونات الباريوم كما هو معروف لمرور غاز الكربونيك الخارج من رئة الروح المتجسد الى محلول الباريتا .

وأعيدت التجربة مع عدم استخدام جهاز منع الكلام اكتفاءً برضع اليد فوق فم الوسيطة وأنفها وقد أجرى الدكتور رتشارد عن هذه التجربة بنفسه ولم يكن معه أحد وقت اجرائها . ووصل إلى نفس النتيجة .

ورأى ولتر أن يزيد في حيرة مختبريه ، فقال لهم ذات يوم إن أحد زملائه الأرواح واسمه مارك Mark سينفخ في ماء الباريتا فيسمعهم صوت الفقاقيع ولكن دون أن يتكوَّن راسب . وتمَّت فعلاً هذه التجربة ، وفي نفس الوقت كانت ترجري تنفخ في جهاز الدكتور رتشاردسن ، وكان ولتر يتكلم ، وكان صوت الفقاقيع ظاهراً مسموعاً . ودلَّ الفحص بعد ذلك على عدم تكوُّن راسب في الزجاجة . ولما نفخ الدكتور رتشاردسن في زجاجة الباريتا ظهر الراسب الأبيض العادي ، فدلَّ هذا على أن غازاً آخر غير غاز الكربونيك هو الذي مرَّ خلال الزجاجة في تلك التجربة ، وانه هو الذي أحدث تلك الفقاقيع التي كان لها صوت مسموع .

٧ — تسجيل صوت الروح ولتر واذاعته باللاسلكي

كان ولتر « المتوفى » هتشن مرجعي أوّل روح يذاع له صوت على موجات الأثير ، وفيما يلي نص الرسالة التي أذاعها ذلك الروح : —

« يا أصدقائي ! لقد جئت اليكم اجابةً لرغبة بعض زملائي في عالم الروح لاسماعكم صوت رجل « ميت » .

« لقد كان يظن منذ سنين أن الوسيلة التي استخدمها في الكلام اتعابي من عمل الشيطان وكان الوسطاء يقتلون ويحرقون . ولكنكم أنتم سرتم في مدارج التقدم فرتقيتم .

« عودوا إلى الاصحاح الأول من سفر أرميا وردّدوا الآية التاسعة عشر : فيحاربونك ولا يقدرون عليك .

« ان كثيرين ممن يحضرون جلساتنا منكم يأخذون علينا أننا لا نجيء لكم من العالم الثاني بما هو ألزم لكم في حياتكم الحاضرة ولكنكم في الواقع تعرفون كل الأمور التي .... التي يجب أن تعرفوها . انكم لتعرفون تلك الأمور التي تجعل الحياة أكمل وأوفى وأحسن .

« ألا فاعلموا أن خير أمور الحياة أبسطها وأيسرها — ألا فأحبوا وعظموا كل ما يؤلف بين بني الانسان ويوثق بينهم » .

تلك كانت الرسالة التي أذاعها الروح ولتر بالراديو بعد أن عملت فالستاد كما تسجل الاصوات في استوديوات التسجيل الصوتي . وقد نشرت مجلة « بوسطن هرالد Boston Herald » إذ ذاك تفاصيل ذلك في مقال لمكاتب لها حضر التجربة من أولها الى آخرها وقد حمل عنوان مقاله « صوت روح في الراديو » . وفيما يلي نص هذا المقال : —

« لقد سجل صوت ولتر في ستوديوات هارلان ف. هاسي Harlan F. Hussey الخامسة بتسجيل الصوت خلال جلسة عقدت لذلك الغرض . وكنت أصغي لبعض الاسطوانات التي سجلها هذا الخيل ، إذا بمراسي نفسه يقول لي ، وقد تناول اسطوانة جديدة من درج الاسطوانات : « قد تكون سمعت هذه الاسطوانات جميعها ، أما هذه فانك لم تسمعها من قبل » . ومضى يشرح لي عملية تسجيله صوت روح رجل ميت .

« قال ان شخصاً يدعى دذلي يطلب آركاندون قد جاء زائراً وأدخل البه بوساطة دذلي لما تم من أحداث هناك ، ولما يمكن أن يعمله . واقترح عليه أن يحضر إدوين الفاسد . وفعلاً ذهب هامي ومعه ابنته اديث baker ليفحصا هذا الموضوع الغريب المقترح . وقال هامي انه كان متردداً بعض الشيء ، ولكنه لما قابل الدكتور كراندون والسيدة زوجته أنس بهما ، وسره استقبالها إياه وهدأت نفسه اليهما .

« وبعد هو وابنته الى حجرة التحضير في الدور العلوي ، وهناك عقدت جلسة كان عدد الحاضرين فيها ستًّا فقط ، هو وابنته والدكتور كراندون وزوجته مرجوي ومستر دذلي ذاك وأحد أصدقاء هاوثارد ، وقد نعى اسمه . وجلسوا كلهم مكرراً في دائرة حول مائدة وفي ضوء خفيف .

« وبعد ان ما همسوا صفيراً شديداً تلاه صوت الدكتور كراندون يقول : هالو ولتر هل أنت هنا ؟ فأجابه صوت خارج من حنجرة انسان قائلاً « نعم » . وبعد ثم تكلم الدكتور كراندون بشكل عادي قال « إننا يا ولتر سنسجل صوتك » وشرح له كيف سيتم هذا التسجيل

« وبعد ذلك قال هامي انهم اتفقوا على أن تعقد في مقر دير التسجيل ثلاث جلسات لهذا الغرض .

« وأعدَّ هامي حجرة صغيرة لكي تعقد فيها الجلسات ، وأعدَّ جهاز التسجيل في حجرة أخرى كبيرة ، وثبت الميكروفون في الحجرة الصغيرة حيث تعقد الجلسات ولم تكن نتيجة التسجيل في الجلسة الأولى مرضية ، فان الصوت لم يكن واضحاً بالمرة ، وحدثت فترات صمت طويلة بين الجمل . وبدأ ولتر التسجيل الأول بالصفير ثم قال « وهل يصح أن ينسى الصحب والمعارف القدماء ؟ » وقد كان صوته عالياً وواضحاً . وأخيراً مضى يتكلم في الروحية . وقرأ بعض المقطوعات الشعرية ، وقد سجلت كلها . ولم يتم تسجيل الرسالة إلاَّ في الجلسة الثالثة ، وأجرى التسجيل في ضوء أحمر خفيف . . .

« وحدث في الجلسة الأخيرة حادث كان له تأثير عميق في نفوس أولئك الذين كانوا جالسين في الحجرة الخارجية . وهناك كان هامي وابنته إديث وأحد الشهود . وحينما أعدت العدَّة للبدء في التسجيل وقف هامي بالقرب من الباب ليتلقى إشارة البدء من أولئك

الموجودين في الداخل . فدفع الفضول بابنته وبالضيف أن يقتربا من باب حجرة التحضير وكان مفضيًا من الداخل بستارة مشبكة من القصيفة . وكان يوجد في الحجرة الخارجية بيانو . وكان الاتفاق تمَّ على أن مس هامي تعزف عليه متمشية مع صفير ولتر . فلما تمت الاستعدادات كلها لعلم صوت ولتر قائلاً : (حسن يافتاتي الصغيرة . اتركي الباب وخذي مكانك عند البيانو وابدي على تمام الاستعداد) .

« ويقول هامي انه لم يكن ميسوراً لأحد داخل حجرة التحضير أن يرى أين كانت هذه الفتاة واقفة » .

وإلى هنا ينتهي مقال « برمطن هرالد » .

٨ — الوساطة العقلية

أنشر أيّان شئت إلى أية ناحية من نواحي وساطة مرجري تجد بينات متنوعة من تلك التي يكثر من السؤال عنها مستريبو الروحية ومناهضوها الذين لا يشبعون من البراهين . وقد كان هؤلاء اذا ما حدثت ظاهرة مادية ملموسة جديدة يزدادون تعسفاً في التأويل ، ويعدُّون أنفسهم لتعليلات باطلة سخيفة ، فاذا ما باءوا بالخذلان طالبوا ببعض الظواهر ذات الطابع العقلي ، وهي ظواهر خلاَّبة لم تستطع ماديتهم تفسيرها . فاذا ما تمَّ حدوث هذه الظواهر عادوا فطالبوا بالظواهر المادية . ولقد رأينا مثلاً لتلك الظواهر المادية التي استطاع إجراءها ولتر ومرجري . وفيما يلي نماذج من الوساطة العقلية : —

(١) في إحدى الجلسات التي انعقدت في عشة الوسيطة في بوينت شيرلي Point Shirley بالقرب من بوسطن قال ولتر إنه سيجري تجربة جديدة ، وسأل كابتن جون . و . فايف Capt. John. W. Fiefe أن ينتخب ستة أشخاص ويطلب إليهم أن يتفقوا فيما بينهم وهم جلوس في الساعة السابعة من الليلة التالية على كلمة أو سلعة يختارونها . وسيحاول ولتر أن يعطي هذه الكلمة أو إسم السلعة لمرجري ولوسيطة أخرى هي ساري ليتلفان Sara Littlefan فقال فايف إنه سيكون على سفر هو وأسرته خلال نيو هامبشير New Hampshire وهو لا يعرف أين سيكون في الساعة السابعة . على أنه وعد أن يتفق مع جماعة من إخوانه على

كلمة يختارونها، وأن يمهروا بإمضاءاتهم بياناً يوضحون به ما تم الاتفاق عليه . وقال فايف إنه سيتصل تليفونياً بمخازن التاجر فرنش French في رويالستون Royalston التي تبعد عن بوسطن بستين ميلاً ، وسيدلي الى مدير تلك المخازن بالكلمة المختارة . ومن ثم كان لابد أن يكلف شخص مختار بالذهاب الى ذلك المحل لكي يضامي الرسالة بما سيتلقونه من مرجري .

وفي اليوم التالي قصد إلى منزل الوسيطة الروحية الريفي كل من مرجري وموريس باربانل Maurice Barbanell محرر « سايكك نيوز Psychic News » والسيدة زوجته ووليم هـ.باتون William H. Button رئيس جمعية البحوث الروحية الأمريكية ، وكان المكان يتألف من مجموعة كابينات أقيمت في الغابة على بعد ميل من رويالستون . وكانت تقيم هناك ساري ليترلمان وزوجها . وقد اختير مخزن فرنش مكاناً لتلقي الرسالة لأنه بالنسبة لكابينات مرجري أقرب مكان يوجد فيه تليفون . وسئل مدير المحل أن يستعد لتلقي الرسالة بالتليفون في الساعة السابعة مساء . وقبيل السابعة بعشر دقائق جلست مرجري في إحدى الكابينات ، وجلست الوسيطة ساري ليترلمان في أخرى . وجلس مع مرجري باتون وباربانل وخادم مرجري الياباني ، وفيما هم جلوس كتبت مرجري الكلمتين watermelon- أي « بطيخ » . وجلست مسز باربانل في الكابينة الأخرى حيث جلست ساري ليترلمان فكتبت هذه نفس الكلمتين . وخلال اجراء هذه التجربة وقف الخادم الياباني يداعب كلب مرجري ، فجعل يتبح ، وطلبت مرجري الى خادمها اسكاته . ومع ذلك فان هذا الاضطراب الحادث من النباح لم يؤثر البتة في تلقي الكلمتين .

وانتقل باربانل بعد ذلك الى مخازن فرنش وهناك تلقى من مدير المحل ، وهو رجل يدعى ولكوكس Wilcox الرسالة التي سبق أن تلقاها ولكوكس هذا قبل ذلك ببضع دقائق ودوّنها . فلما فتح المظروف المختوم كانت الرسالة المكتوبة فوق قطعة من الورق بداخله هي "water melon" أي « بطيخ » . وشهد بذلك كتابةً كل من اشترك في هذا الاختبار .

هذه التجربة مدهشة ومقنعة معاً ، وهي على أقل تقدير تجربة فذّة على ظاهرة التلبثي التي هي في الواقع برهان على وجود الروح مهما تعسفنا في تأويلها . والواقع أن جميع الحالات البارزة التي من هذا الطراز تتيح نوعاً من الظواهر أحكم وضعه أولئك المقيمون في الجانب

غير المنظور ، يريدون به لفت الأنظار والأذهان الى المدى الواسع الفسيح لتلك القوى التي تتكشف لنا وتظهر حين نطرح عنا ظهريًّا ذلك التشبث أو التتبع العلمي ولا حاجة بنا الى القول بأن الأرواح الحارسة المرشدة للوسطاء تساهم بقسط كبير في هذه الاختبارات . وقد دلت التجارب على أنه حين يحاول بعضهم اجراء هذه التجربة ، دون تلقي مساعدة من جانب الأرواح ، فانهم لا يصلون الى نفس النتائج الدقيقة إلاّ ان كانوا قادرين على طرح أرواحهم من أجسادهم طرحًا واعيًا . وقد يستطيع الواحد منهم أن يلتقط كلمة مثلاً أو رسالة بأكملها ، ولكننا في وضعنا الحالي ، دون أن نكون خارج أجسادنا ناظرين في وقت واحد الى كل من جانبي الستار ، لا نستطيع أن نعين القدر الذي قامت به روح الوسيط — أو قواه الروحية ان راق هذا التعبير — وحدها دون مساعدة ومقدار المساعدة التي قام بها الروح المرشد المهيمن على الوسيط .

وتقول مرجري إنها في مثل هذه الحالة لم تعدُ أنها كانت آلة استخدمها ولتر بعد أن هيمن على يدها وكتب بها . وتقول زميلتها ساري ليتزلمان في وصفها الدور الذي قامت به في مثل هذه الحالة إن الروح المرشد لها أو المهيمن عليها ، واسمه شارلز Charles قد نقل رسالة ولتر وكأنما انعكست كتابته فوق مرآة . وقد صدقت مرجري وصدقت ساري فيما قالتا . والواقع أن الإختبارات التي أجريت فيما يسمى « الادراك الحسي الزائد Extra Sensory Perception ليست إلاّ اختبارات بدائية وخفة إذا هي قورنت بالاختبارات الأخرى الأرقى التي تمت على أيدي الوسطاء الموهوبين حين يعاونهم في العمل أرواح مرشدة . ويصعب العمل على الوسيط إذا انفرد به دون معاونة روح مرشد ، فبدلاً من أن يطرح الوسيط روحه لينقب ويبحث ويتقصى ينتهب الروح المرشد ويرى ما هو جار ثم يعود إلى وسيطه ويتحدث خلاله عما رأى . فالمسألة بسيطة كما ترى مهما كانت العمليات الخاصة بجمع المعلومات ثم الإدلاء بها . هي في الواقع مجرد امتداد لوسيلة العادية الخاصة بالتقصي والبحث : وما نعمله نحن في هذا الصدد يعمله أولئك المقيمون في الجانب الآخر بعد أن تحرروا من ذلك الجسد المادي الذي يعوقنا ويحد من مدى عملنا .

(٢) وفيما يلي مثل يبين ما يقوله بعضهم من أن الوسطاء يتخلون من تجارب

« الادراك الحسي الزائد » أو « القوة فوق المدركة Ultra-Perceptive Faculty » هراية وتسمية و « الادراك الحسي الزائد » أو « القوة فوق المدركة » هي المصطلحات العلمية التي حلت محل خرافة المتحذلقين الذين يتحدثون عما رأوا أن يسموه « الحاسة السادسة » دون أن يعينوا مركزها ، وذلك إمعاناً منهم في إنكار النفس البشرية وإمكان اعتمادها على قواها ووسائلها الأولية .

في ذات يوم اشترى العلامة باطون مجموعتين من ورق اللعب ، ثم حملها الى بارنل محرر « سايكك نيوز » فحص هذا خلافيها ووجد بعد مضاهاة أوراق المجموعتين أن ظهور الأوراق متطابقة . وبعد نظر اختار منها خمساً وعشرين بطاقة مكونة خمس مجموعات أوراق كل مجموعة منها من صنف واحد . وجلس بارنل وباطون وفايف بحيث يرون وجوه هذه البطاقات وقد أمسك بها بارنل بحيث ترى سرجري ظهورها فقط ، وهي واقفة على بعد سبعة أقدام منه ، وفي غير تردد عينت تعييناً صحيحاً ٢١ بطاقة من الـ ٢٥ . فلما سحبوا لها بتجربة ثانية نجحت في تسميتها كلها صحيحة ، وحاولت ذلك مرة ثالثة ونجحت نجاحاً تاماً .

ورأوا أن يجروا تجربة أخرى فجاءوا بخمس وعشرين بطاقة ، وأمسكت بها مسز بارنل ، ووقفت سرجري على بعد ٢٥ قدماً ، ووقف الباقون يراقبون . فسمت الوسيطة ٢٤ تسمية صحيحة عند أول محاولة . ولكنها طلبت أن تحاول التسمية مرة أخرى ، وكانت نتائجها كلها صحيحة . وقد كتب الحاضرون بياناً بما تم ووقعوه بامضاءاتهم .

ألا تطابق هذه التجارب تلك التي أجراها العلامة الدكتور ج . ب . راين Dr. J. B. Rine أستاذ السيكولوجيا في جامعة ديوك ، والتي دونها في كتابه « القوة الادراك الحسي الزائد » تحقق ظاهرة التلبثي والجلاء البصري ؟ انها تشبهها ولا شك ، ويكاد يكون الأسلوب واحداً في تجارب البطاقات تلك . ولكن بينما نرى البحاث الجامعيين يصفقون ويهللون لتجارب الدكتور راين في جامعة ديوك Duke نرى قوماً آخرين ينكرون صدق هذه التجارب إذا قام باجرائها الوسطاء الروحيون في الجلسات الروحية العادية .

ويقول محرر « سايكك نيوز » بصدد هذه التجارب التلبثية التي قامت بها سرجري « ان ارتفاع النسبة المئوية لنجاح سرجري ودقتها ليزولان من شأن جهود طائفة الدكتور

راين . ومع ذلك فان رجال العلم قد مجدوا راين وعظموه لبحوثه في السيكولوجيا الشاذة » ولاستكشافه « الادراك الحسي الزائد » . وقد اعترف راين أخيراً بالروح .

٩ — توقيع كونان دويل من عالم الروح

المعروف عن سير آرثر كونان دويل Sir Arthur Conan Doyle الطبيب والقانوني والكاتب الاديب أنه كان من أكبر دعاة العلم الروحي الحديث ، وكان من أصدقاء الدكتور كراندون وعقيلته مرجري . فبعد انتقاله الى عالم الروح زار ، وهو روح ، دائرة مرجري الروحية غير مرة .

Doyle's spirit signature, and his initials given upside down.

ش (٩) امضاء سير آرثر كونان دويل من عالم الروح
وإذا جعلت حاشية الصورة سافلها ظهر لك الحرفان الاولان C. D
من الاسمين « كونان دويل »
(من مجلة « سايكك نيوز »)

وحدث في إحدى زياراته تلك أن كتب بخطه وامضائه كلمة الاهداء على نسخة من أولى طبعات كتابه الاخير « حافة المجهول » . ولطالما كان الحاضرون في جلسات مرجري يسمعون هامساً يقول « هنا كونان دويل » . وكثيراً ما كان ولتر يقول للحاضرين ان كونان دويل كان موجوداً ، وإنه توّاق لان يساهم في العمل ويساعد بأي شكل . ويقول العلامة باطون إن كونان دويل كان يشعره دائماً بوجوده قبل حلول عيد ميلاده (ميلاد باطون) مهنئاً إياه على ما كان يعمله في سبيل الوصفاء . وحينما أراد أن يكتب كلمة اهداء على نسخة

من كتابه ويحررها بامضائه وهو روح اقترح أن يتم ذلك خلال وليمة تقام احتفالاً بعيد ميلاد باطون ، حيث سيحاول أن يكتب كلمة الاهداء ويوقعها بامضائه ، فان نجح فيها وإلاّ فانه سيحاول ذلك في مناسبة أخرى .

وقدمت مرجري نسخة من كتاب « حافة المجهول » وكانت هذه النسخة آخر هدية قدّمها دويل اليها ، تسلمتها في اليوم الذي توفي فيه . ولم يكن قد لمسها بيديه بل بعث بها الناشر مباشرةً الى مرجري طبقاً لتعليمات دويل . وأحست مرجري نهار ذلك اليوم ان لها ميلاً لأن تكتب بعض الكتابة التلقائية ، وهي تلك الكتابة التي تكتبها بعد أن تهيمن روح على يدها . وفعلاً كتبت هذه العبارة « في سنة ١٨٤٣ كتبت مقدمة لدكنز Dickens وسأوقع على كتابك . C. D. ويلاحظ ان الحرفين الحرفين C. D. هما الحرفان الأولان من اسم كونان دويل . وحار الثلاث كل من باطون والوسيطة ، لأنهما يعلمان أن دويل لم يكن ولد سنة ١٨٤٣ ولكن ما إن وافى المساء حتى جاء ولتر وطلب اليهما أن يتصفحا كتاب « أغنية عيد الميلاد » الموجود في مكتبة الدكتور كراندون . فلما تصفحاه وجدا فيه فعلاً صورة خطية للمقدمة مكتوبة في سنة ١٨٤٣ ، وقد وقعت بالحرفين C. D. وهذان الحرفان هما الحرفان الأولان من اسم شارلز دكنز Charles Dickens والغريب أنه يوجد شبه غريب بين خطي دكنز ودويل . وأدرك باطون على الفور ان اختيار تلك المقدمة ينفق ودعابة دويل لأنها احتوت على العبارة الآتية : —

« لقد حاولت في هذا الكتاب المتواضع الصغير أن أقدم شيئاً فكرة لا تثير قرائي فتخرجهم عن الحد إزاء أنفسهم أو إزاء بعضهم بعضاً أو إزاء الزمن أو إزائي . وأرجو أن يزداد كتابي داركم ارتياداً سارّاً فلا يرغب عنه من يتناوله فيقرحه » .

ولا شك أن الدعابة هنا كانت في تشبيه الكتاب بالروح الذي يرتاد جثة أو منزلاً .

وبعد ذلك بيومين عقد باطون جلسة مع مرجري حضرها وندل موراي Wendel Murray أحد المحامين النابهين في بوسطن ، ووضع كتاب دويل فوق المنضدة ومعه قلم رصاص وقلم أسترليني . ولم يكن في الكتاب إذ ذاك أية كتابة خطية إلاّ ما كتبه الدكتور كراندون بخطه . وأمسك موراي بيسرى مرجري ، وأمسك باطون بيمناها ، وتماسكت كفات وندل

ويلاطون بيديهما الطليقتين ، أي أنه في هذه المجموعة الصغيرة لم تكن توجد يد طليقة . وسمع صوت على المنصة ، وكأن شخصاً تناول كتاباً ومضت بعد ذلك خمس دقائق ، وإذا بولتر يعلن أن العملية انتهت .

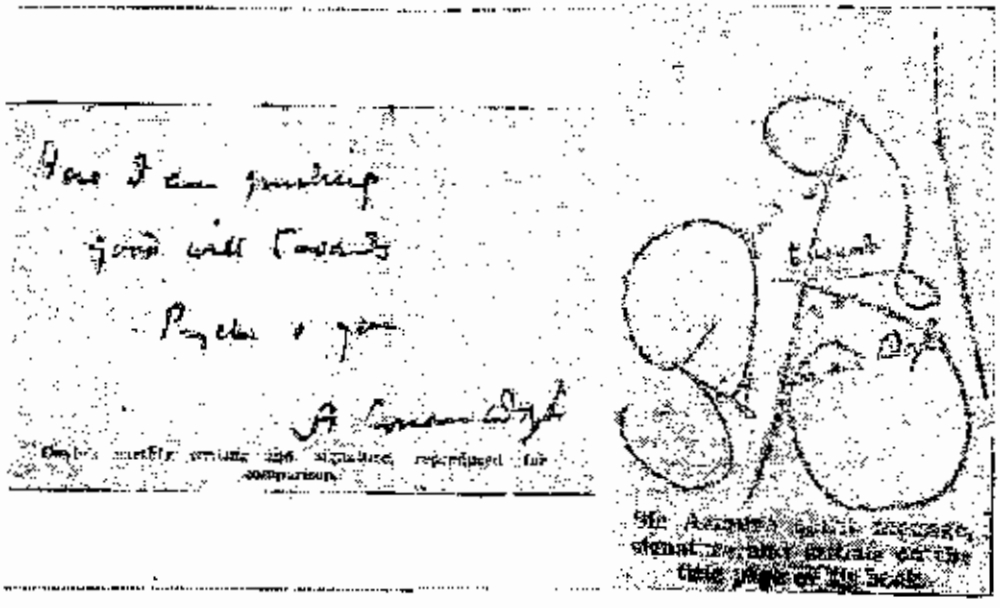

شكل (١٠) كلمة الاهداء يكتبها ويوقعها روح كونان دويل من عالم الروح
(نقلا عن مجلة « سايكك نيوز »)

شكل (١١) كتابة كونان دويل وامضاؤه وهو في عالم المادة حي يرزق
(نقلا عن مجلة « سايكك نيوز »)

وعند انتهاء الجلسة دق جرس التليفون ، وإذا بالوسيطة سادي ليتزلمان تتكلم من قرية كمبردج على مسيرة ثلاثة أميال من بوسطن ، فتقول إنها تلقت بالكتابة التلقائية من الروح المرشد لها رسالة تقول « إن ولتر قد أتم عملاً عظيماً حصل فيه على توقيع صير آرثر » .

وفعلاً تم التوقيع وزاد عليه ان كتب الحرفين الأولين بحيث كان عاليهما سافليهما ، أي أنه إذا أديرت الورقة بحيث جعلت حافتها العليا حافتها السفلى ظهر الحرفان واضحين . وفي جلسة أخرى كتب على الصفحة الأولى البيضاء من الكتاب عبارة الاهداء وموقعها بإمضائه هكذا : « مع صادق التمنيات لكم — ا . كونان دويل »

وبمضاهاة كتابة سير كرناز مويل وهو روح بكتابتها قبل أن يشتغل في علم الروح يتضح أن الخط واحد في الحالتين كما هو ظاهر في الصور .

ويلاحظ أن هذا كله قد تمّ والوسيطة تحت الرقابة التامة الشديدة. وقد كتب العلاّمة باطون بصدد هذا الحادث يقول « يبدو لي أن الرقابة في هاتين الحالتين الخطيرتين كانت تامة ، كما يبدو لي كذلك أن بينة الخط نفسه بينة قاطعة مقنعة ومن غير سير آرثر يستطيع أن يتخذ من شارلز دكنز وسيلة لتحقيق شخصيته هو يمثل هذه الثقة والروح ؟ » .

١٠ — مرور مادة خلال مادة

فيما يلي وصف لثلاث تجارب في هذا الصدد : —

(١) من التجارب المدهشة الفذّة التي أجراها الروح ولتر إخراج قنينة زجاجية من وسط كتلة من عجينة باريس ثم اعادتها إلى داخلها مرة أخرى تحت رسائل الرقابة الدقيقة ، وذلك دون أن تتكسر القنينة ودون أن تتفتت العجينة . وقد كانت هذه التجربة بالغة التعقيد ، واستغرقت الاجراءات فيها ما يزيد على سنتين . وقد أرسل كتلة العجينة تلك بما فيها الى منزل الدكتور كراندون رجل غريب لاءت إلى آل كراندون بصلة . وهذا الرجل هو و . ب . مثبورن W. B. Menthorn الصيدلي المقيم في بتوسكي بتشيجان Petoskey, Michigan وقد كتب يقول ان مداخل تلك العجينة ثلاثة أشياء ، ولم يدل بأي إشارة يفهم منها أي شيء عن هذه السلع الثلاث . ويعزى بهذه الكتلة إلى أولى الجلسات التي انعقدت بعد وصولها ، ووضعت هناك فوق منضدة ، ومثل ولتر ما بداخلها فلم يجب ، ولكن في نهاية الجلسة اختفت تلك الكتلة بشكل غريب ، ولم يقل ولتر أين أخفاها ولا كيف أخفاها . وبعد ذلك بأسبوعين قال « الآن أخبركم ماذا بداخلها . توجد فيها قنينة صغيرة تشبه قنينة مصبرات كاوتر الكبد ، وسلسلة فلزية صغيرة ذات سبع حلقات ، ويوجد بالإضافة صداد من الفلين . وهذا هو كل ما أستطيع رؤيته في تلك الكتلة » .

وكتب الدكتور كراندون الى مثبورن يخبره بما قاله ولتر . وكان جواب ذلك الصيدلي « إنه صادق تماما في الحالة ، فالعجينة تحتوي على قارورة في حجم تلك التي وصفها ، وعلى قطعة من سلسلة ذات سبع حلقات ، وفيها كذلك قطعة من الورق عليها إسم مكتوب .

ومع هذا فإن الاختبار مدهش جداً » .

ومضى شهر آخر وكتلة عجينة باريس تلك مختفية أو هي لم تستعد بعد حالتها التجسدية الأولى ، حتى إذا انعقدت إحدى الجلسات سمع الحاضرون صوت خشخشة ، وكأنما الكتلة قد ظهرت من جديد ووالتر يهزها فيسمع لها هذا الصوت . وقال والتر إن هذا هو صوت السلسلة في داخل الزجاجة ثم مضى يشرح فقال « حينما استحضروها لم يكن للسلسلة هذا الصوت ، ولكني أرخيتها في داخل الزجاجة ، فقد كان بداخلها ورقة ملفوفة ، وقد تعقدت كلها كما أراد صاحبها ، ولذلك كانت قراءة الورقة أمراً صعباً » .

The bottle which Walter extracted from the plaster of paris block on the right.

شكل (١٢) كتلة عجينة باريس وبجوارها القارورة التي أخرجت منها بالوسائل الروحية دون كسر أو تلف

(نقلا عن مجلة « سايكك بيرز »)

ولا يفوتنا أن نقول إن خطاب منتورن لم يكن قد وصل بعد .

وظهرت الكتلة فوق المنضدة ، ولكنها اختفت ثانية في الليلة التالية ، وفي جلسة تالية وضعها والتر بين يدي الدكتور رتشارد صن . ثم أخذت منه وصلت لآخر . وكان والتر يشرح أعماله قبل أن تتم و يشعر بها الموجودون . وعند انتهاء هذه الجلسة اختفت الكتلة وفي الليلة التالية عقدت جلسة وعادت الكتلة فظهرت ، وبقيت على المنضدة ظهراً كاملاً إلى أن أخفاها والتر مرة أخرى قائلاً انهم حين يرونها ثانية « يكون ما بداخلها في خارجها » وظلت هذه الكتلة مختفية ستة شهور أخرى .

ولما عقدت جلسة بعد ذلك وفتشت فيها برجرى جاء ولتر وضعين عليها ثم سلم الكتلة لسيدة كانت حاضرة تدعى مسز بيجلو Mrs. Bigelow قائلاً إنه أخرج منها قرص الجيوب محتفظاً في داخل القارورة بالرقعة التي عليها الاسم المكتوب ، وسلمت القارورة والرقعة التي فيها الى تلك السيدة ، وقال ولتر « لقد تركت السلسلة ذات الحلقات السبع في داخل الكتلة . وانكم لتستطيعون سماع صوت خشخشتها اذا أنتم هززتم الكتلة ، لأنها أصبحت حرة الحركة في الفضاء الذي كانت تشغله القارورة قبل الآن » . وفي الجلسة التالية التي انعقدت جاء ولتر بالكتلة ثانياً ، وحين هزّت سمع صوت خشخشة السلسلة بداخلها وبعد ذلك بعشرة أيام أعاد ولتر الكتلة والزجاجة ، ووضعتا في درج وهناك بقيتا زمناً وكان منتورن يبلغ أولاً فأولاً كل ما كان يحدث لهذه الكتلة ومحتوياتها .

ومضت بعد ذلك سبعة شهور أخرى وضعت الكتلة خلالها فوق منضدة في حجرة التحضير وتناولها كثيرون فسمعوا صوت خشخشة السلسلة بداخلها ، ولكن بعد تسعة أيام اختفى صوت الخشخشة برغم هز الكتلة هزّاً عنيفاً ، وقد فسر الروح ذلك بأن السلسلة قد تُبتت . وبعد ذلك بتسعة شهور صوّرت الكتلة والقارورة بالفوتوغرافيا . وأعيدت المجموعة كلها الى منتورن فلما وصل الطرد كانت القارورة قد اختفت . فهي إما أن يكون قد انعدم تجسمها خلال الانتقال أو تكون قد أعيدت الى مأواها في داخل الكتلة بالوسائل الروحية . فلما صوّرت الكتلة بالأشعة السينية ظهرت القارورة وظهر التجويف الذي كانت تشغله في الأصل ، وأما السلسلة فلم يعثر لها على أثر . وقال ولتر في الجلسة التالية انه اذا استمر منتورن يصوّر الكتلة بالأشعة السينية فان السلسلة قد تظهر ثانية في الداخل . ثم قال ان ورقة العنوان الموجودة بداخل الزجاجة مطبوع عليها كلمة كودين « Codeine » ثم عاد فقال ان الكلمة مكتوبة بخط صغير ، وان على هذه الورقة كلمة « منتورن » وبدت كأنها عنوان خطاب .

وأظهرت الصورة التي صوّرت بالأشعة السينية للكتلة أن القارورة موجودة بداخلها وبعد ذلك وأمام لجنة مكوّنة من ثمانية أشخاص بينهم كبير الكهربائيين في بتوسكي Petoskey وكبير مهندسي شركة هناك كسرت كتلة عجينة بإزميل ثلاث ، وهي الكتلة التي كثر حولها

اللفظ والحديث والتي لم يقع تغييرها ما وقع فيما هي من الاحداث . وذلك وجدوا الزجاجة في وضعها الحكم داخل الكتلة ، ووجدوا على البطاقة التي في داخلها اسم « منتورن » أما السلسلة فلم تكن موجودة .

وفي جلسة عقدت بعد ذلك بأسبوعين في منزل الدكتور كراندون بوسطن مرّر ولتر السلسلة بأيدي ثلاثة من أعضاء الدائرة ، وبعد ذلك بثلاثة أيام خلال انعقاد الجلسة تدفقت السلسلة فسقطت فوق المنضدة . وسلط عليها نور أحمر فرآها واضحة جميع الموجودين — ولكنها في نهاية الجلسة اختفت من جديد . وقال ولتر إنها على أرض الحجرة في بقعة عينها . وهناك وجدوها فعلاً ، فعمدوا بها الى منتورن الذي جهر بأنه لم يجد صعوبة في تبين كل من الكتلة والسلسلة . وقال انه حين صنع الكتلة شكّلها وهي طرية لينة ، وترك فصاً بصمة ابهام يده اليسرى فوقها . وقد استطاع ان يتبين بسهولة بصمة إبهامه حين أعيدت إليه الكتلة ، وذلك لأن على إبهامه ندبة مميزة . أما البطاقة فكانت بطاقة للصيدلية مطبوع عليها اسمه وعنوانه . ولم تكن كلمة « كودين » ظاهرة .

(٢) بعد هذه التجربة الفذّة أجرت دائرة كراندون الروحية عدداً من التجارب على ظاهرة مرور مادة خلال مادة ، مع اتباع الوسائل والأساليب الاختبارية . واستعملت لذلك الغرض صناديق متينة محكمة الصنع ذات أقفال متينة . وكان المقصود تمرير أشياء الى داخل تلك الصناديق ثم إخراجها منها وهي مغلقة ومختومة ، أو إخراج أشياء تكون قد وضعت في الصناديق قبل إحكام غلقها دون كسر الصناديق وفض الأختام

في الجلسة الأولى وضع العلامة باطون علامة على نصف ريال أمريكي ، وقد فحص الدكتور كراندون هذه العلامة . ووضعت قطعة النقود تلك في داخل صندوق من الورق المقوي ، ثم أغلق الصندوق بإحكام ولفّ فوقه شريط ووضع فوق الشريط أختام . ثم جيء بالصندوق ووضع على منضدة أمام مرجري . وبعدئذٍ استفسر باطون عما إذا كان ولتر يستطيع إخراج قطعة النقود تلك من جوف الصندوق . وما كادت تمضي بضع دقائق حتى أحسّ باطون بقطعة من قطع النقود توضع فوق معصم يده اليمنى ، وقد دفعت بعناية بين يده ويد الوسيطة . وأعاد ولتر التجربة في الجلسة التالية ، وأخرجت قطعة النقود المرة

الثانية . وأعيدت هذه التجربة في جلسة ثالثة ، وكان الصندوق أحد صناديق السكر المصنوعة من الورق المقوى ، وقد لف بعناية بأشرطة اللصق ووضعت عليه علامات من الداخل والخارج ووضع بداخله قبل إغلاقه نصف ريال بعد أن وضعت عليه علامة مميزة . وفي نهاية الجلسة اختفى ووضع في مكانه بنس انجليزي .

وأجريت تجربة أخرى في الجلسة الرابعة . وحدث في نهاية هذه الجلسة أن وجدوا في الصندوق قطعة نقد صغيرة قديمة . وعرفوا فيما بعد أنها عملة رومانية قديمة ترجع الى عهد القنصل . وطلب إليهم ولتر أن يضعوا قطعة النقد هذه على المنضدة معلناً أنه سيدفع بها الى جرف صندوق آخر مقفل كان على المنضدة . وكان مستر ثوروجود Mr. Thorogood الباحث الروحي المعروف قد أقفل هذا الصندوق واحتفظ معه بالمفتاح ، ولم يحضر هو هذه الجلسة . ووضع الصندوق تحت الحراسة الشديدة الدقيقة الى أن فتحه ثوروجود نفسه في الليلة التالية . وقد وجدت فيه قطعة النقد الرومانية تلك ومعها قطعة نقد انجليزية وأخرى ألمانية ، لم يرها الحاضرون قط من قبل كما دلّ على ذلك البحث والتحري .

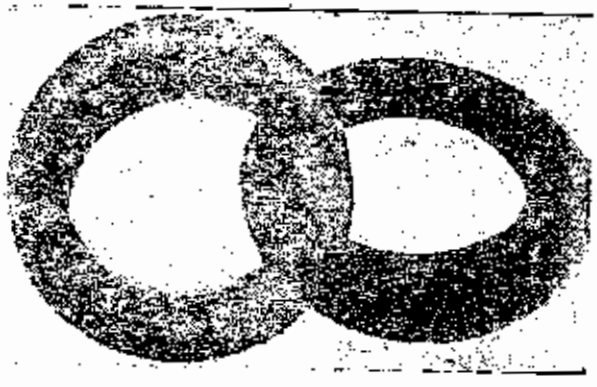

شكل (١٣) الطوقان الخشبيان وقد تشابكا دون كسر بالوسائل الروحية

(نقلا عن مجلة « سايكك بيوز »)

(٣) وثمة تجربة أخرى تعتبر بحق من أهم التجارب الاختبارية في تاريخ الروحية على ظاهر صرور مادة خلال مادة ، وهي تجربة فيك (تمشيق) حلقتين من نوعين من المعادن

دون أن تصابا بأي كسر . وقد ظلّتا متعانقتين كذلك زمناً طويلاً عرضة للناظرين إلى أن انهارتا فجأة متفتتتا وانفصلتا .

وقد حدث أن زار هانن سوافر Hannen Swaffer الصحفي الخطيب والكاتب المبحر والداعية الروحي الشهير ، سنة ١٩٣٤ ، الدكتور كراندون في بوسطن فأراه باطون الحلقتين متشابكتين . وطلبها ولتر تلبيةً لطلب باطون الذي كان قد سأله برهاناً على القوة فوق العادية مضافاً اليها العقل الذي يسيرها فيرى الناس آثارها في كل مكان . ولما قصد سوافر بوسطن بعد ذلك بزمن جرّه الحديث مع مرجري فعرج على تلك التجربة ، ودعته لرؤية الحلقتين . ولكنهما حين ذهبا لرؤيتهما وجداهما انكسرتا .

ويرى بعض البحاث الروحيين أن البينة التي من هذا الطراز المادي تكون محدودة الزمن ، وأنه لابدّ لكل فترة زمنية جديدة من بينة جديدة ، وانه لا يمكن أن تحفظ الهبات الروحية تلك في متحف أو معرض دائم لان ذلك قد يقلل من التطلع الى بينات جديدة مقنعة . وحينما تقدم باطون إلى ولتر بطلبه أول مرة انتهت العملية في بضع دقائق . وقال باطون انه لا يمكن أن يتجنى متجنٍّ فيقول إن العمل تمّ في هذه الحالة بالغش والتدليس ، لانه لم تكن هناك فرصة لذلك .

وحينما سمع سير أوليفر لودج بهذا الاختبار اقترح وصل أطواق من نوع من الخشب الذي لا يمكن أن يدّعي معه حدوث غش وخداع . وتنفيذاً لرغبته أجريت التجربة على حلقة من الخشب الأبيض وأخرى من خشب المغنة جهزهما هو بنفسه وبعث بها الى أمريكا . والغريب أن جميع الأطواق أو الحلقات التي أرسلت الى دائرة مرجري قد فككت بسهولة ، ولكنها بعد ذلك تداعت وانكسرت بشكل غامض كما سبق أن وصلت بشكل غامض .

وقد كان ولتر يتخذ من هذه الأطواق وسيلة للتلهي . فأحياناً كان يرى الحاضرون في الجلسة تلك الأطواق وقد بدت وكأن أجزاء منها قد تآكلت . وأحياناً ترى مرجري على المنصة نشارة ، وأن أجزاء من الأطواق قد اختفت . وأحياناً يرى الحاضرون تلك الأطواق تتكمش ثم تنمو ثانية . ولكن في نهاية الجلسة كانت الأطواق كلها إما أن تنكسر وإما أن تنفصل ، ولم يبق إلاّ الطوقان الأصليان ، وقد ظلاّ كذلك طويلاً وهما محفوظان في صندوق

زجاجي الى أن انكسر أحدها في النهاية . والظاهر أن المكونات الالكترونية المادة الطرق الذي انكسر قد تأثر تماسكيا بعملية إزالة التجسد ثم إعادته فانهارت في آخر الأمر

١١ — المجلوبات الروحية والمأخوذات

هي نوع آخر من مرور مادة خلال مادة ، أي مرور مادة الشيء المجلوب أو المأخوذ خلال مادة الجدران . وقد رأينا لذلك مثلاً في اختفاء كتلة عجينة بارجس ثم ظهورها ثانية . والواقع أن تلك المجلوبات الروحية التي كان يجيء بها الروح ولتر في الجلسات قد أوقعت المتفككين في وساطة مرجري موقتاً لا يحسدون عليه . وكان من بين تلك المجلوبات بلورات وزهور وقطع معدنية بلغ وزن بعضها أحياناً بضعة أرطال وحمامة حية . وهنا نلفت النظر الى ان تمرير الأحياء خلال المواد الصلبة لم يقتصر على الحيوان بل تعداه إلى الانسان . فقد حدثت تجارب على تمرير بعض الآدميين خلال الجدران والانتقال بهما عبر مسافات شاسعة في أزمنة قصيرة ، وإن يكن ذلك لم يحدث في جلسات مرجري .

ويقول بلطون انه حدث يوماً أن كان راكباً القطار مع مرجري في صالون خاص ، فأمسك يديها وسألها عما إذا كان ولتر مستطيعاً أن يجيئها بشيء من المجلوبات . وعلى ما ظهرت فجأة على منضدة الصالون نقطة من تلك القطع البلورية . وهذا يذكرنا بما كان يتم على يدي المرحوم الشيخ سليم الطهطاوي من نوادر المجلوبات في قطر السكة الحديدية وغيرها .

ولان تجيء في لحظة بشيء مادي كجوهرة أو صندوق أو عبراة من أقاصي البلدان أو من قاع نهر أو بحر ، أو أن يختفي الشيء أمامك من صندوق مقفل أو حجرة محكمة الاغلاق أمر محير محجر لا يقبله الماديون . ولكن تبادل التحول بين الطاقة والمادة الذي كشف العلميون أخيراً قد ألقى بصيصاً من النور على ذلك . والتفسير ان المادة المراد جلبها تتحول بالقوى الروحية الى إشعاع فتسير بسرعة الضوء أو اللاسلكي ، حتى إذا ما وصلت الى المكان المراد نقلها إليه بعد اختراقها الجدران استحال الإشعاع مادة . وفي حالة المأخوذات تنعكس العملية ، فيختفي الجسم المراد أخذه بعد أن يتحول الى إشعاع غير منظور لكي يتجسد من جديد في مكان ما .

وقد كشف العلم الروحي الحديث أخيراً أن عملية تبادل التحول بين الطاقة والمادة تتم باستخدام الإشعاعات المعروفة في عالم الروح بالاشتراك مع مادة الاكتوبلازم التي تنبثق من جسوم الوسطاء . وقد أمكن تصوير ذلك فوتوغرافيًّا باستخدام الأشعة تحت الحمراء في التصوير ، فظهرت صور توضح انعدام التجسد ثم إعادته . وقد تمّ ذلك في كمبردج على الوسيط جاك وبر . J. Webber

وفي صدد المجلوبات والمأخوذات في جلسات برجري يقول الدكتور كراندون في محاضرته التي ألقاها في جامعة كلارك سنة ١٩٢٦ في موضوع « وساطة برجري » ونشرتها جامعة كلارك في كتابها « المذهب الروحي بين التأييد والمعارضة » الذي ظهر سنة ١٩٢٧ ما يأتي :

« تتضمن هذه الظواهر إدخال جسم في حجرة مغلقة أو إخراجه منها . وهي ظواهر قد يصعب تصديقها ، وتدل على وجود عالم ذي أبعاد أربعة ، أو هي تتوقف على أحدث الآراء العلمية بخصوص المادة ، وهو الرأي القائل بالطاقة وحركة الذرّات دون مصادمات ، فيستطيع جسم صلب أن يمر خلال جسم صلب آخر . . . .

« وتوجد في وساطة برجري عشرة أمثلة للمجلوبات ومثل واحد للمأخوذات ، وقد تضمنت الأشياء المجلوبة حليًّا قديمة وزهوراً وحمامة حيَّة . وكانت الظروف في كل حالة طيبة ومؤاتية . ولكن لكي تكون هذه الأحداث ذات قيمة علميَّة وجب أن يتم حدوثها والوسيطة مشدودة الوثاق في زنزانة من الصلب . ويجب أن ينبني القول بصدق هذه الظواهر على ما يأتي : (١) تفتيش الوسيطة والحاسبين والحجرة . (٢) طبيعة الشيء المجلوب وهل يمكن الحصول عليه بالوسائل العادية أو استخلاصه من الجسم بعد اختفائه فيه . وأن يتم تسليمه تحت وسائل الرقابة المبسوطة في الجلسات الروحية » .

١٢ — كتابة الغيبوبة

نوع من الكتابة التلقائية يحدث والوسيط واقع في الغيبوبة وفي غضون أسبوع واحد كتبت برجري وهي واقعة في الغيبوبة ، تسع رسائل بتسع لغات مختلفة ، من بينها اللغة الصينية ولعلّ أغرب هذه الرسائل التي كتبتها برجري هي تلك الرسالة الصينية التي نرى صورة زنكوغرافية لها هنا .

ولما سئل خبير باللغة الصينية أن يترجم هذه الرسالة قال إن كاتبها قد اقتبس من كلام كونفوشيوس Confucius وتلميذه يان لمي Yen Hui . وهذه ترجمة الكتابة الأقل وضوحاً في الصورة وهي عن كونفوشيوس : —

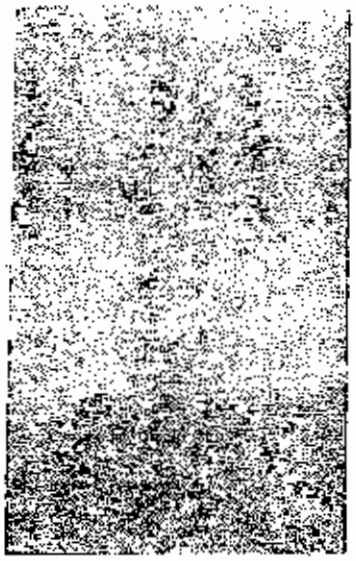

Chinese automatic writing

شكل (١٤) الكتابة الصينية التي كتبتها مرجري وهي واقعة في الغيبوبة

نقلا عن مجلة « سايكك نوز »

« هل نقضت عهدي ؟ ألم انفح تعاليم معلمي ؟ يجب أن لا يغضب الانسان حين يجهل الناس أنه وافر العلم والمعرفة . ألا يمكن أن يكون حكيماً فقط ؟ »

وأما الكتابة الواضحة فترجمتها : —

قال يان لمي « ان الانسان القائم بواجبه نحو أبويه وأعمامه وشقيقاته لا يمكن أن يضايق من هم أعلى منه درجة ، ولا يمكن أن يحارب عليه »

١٢ — تجربة الميزان

وجاء المختبرون بميزان كهربي ، ووضعوا في احدى كفتيه أثقال وظلت الأخرى خاوية ومع ذلك اتزنت الكفتان وكأنما قد وضعت فيهما أوزان متساوية . وكانت التجارب في هذا الصدد تبدأ وتنتهي في الظلام ومرجري مشمولة الوثاق وعرائتها رقابة شديدة . ثم جعل

اختلت موازين قوة الجاذبية هنا أم هناك شيء غير منظور أحدث التعادل بين الكفتين ؟ لقد أضيء النور الأحمر لفترات زمنية استمرت من خمس الى خمس وعشرين ثانية ، وظهر الميزان واضحاً ، وكانت الكفتان متعادلتين . وقام الجالسون يمررون أيديهم فوق الكفتين وتحتهما وحول الميزان كله ، فأثبتوا بذلك أنه ليست هناك ثمة خيوط استعملها أحد الجالسين . واستعمل الضوء الساطع الخاطف في التصوير خلال هذه التجربة . فأثبتت الصور التوتوغرافية أنه لم يكن ثمّ اتصال ما بين أحد الحاضرين وبين الميزان المتزنة كفتاه برغم وجود أثقال في احديهما دون الأخرى . ولكن حينما استعملت عدسة من الكوارتز بدل العدسة الزجاجية العادية ظهرت في الصور التوتوغرافية اسطوانة اكتوبلازمية موضوعة في الكفة الخالية فكانت السبب في احداث الاتزان .

شكل (١٥) تجربة الميزان : ترى مرجري واقفة في الغيبوبة وقد أمسك بيديها اثنان . وقد أظهرت الكرا الاسطوانة الاكتوبلازمية .

نشرت هذه الدورة في كتاب جامعة كمبردج « المذهب الروحي بين التأييد والمعارضة » وفي موسوعة العلم الروحي الانجليزية

وكتب الدكتور تلبارد انعام الحشري الذي تقدم ذكره الى العلامة الطبيب السيكولوجي الأستاذ مكدوجل McDougall بتاريخ ٦ مايو سنة ١٩٢٦ يصف تجربة الميزان هذه يقول :

« ان هذه التجربة من أكمل التجارب التي يستطيع العقل البشري أن يبتكرها . واذا نظرنا اليها في ضوء الصور الفوتوغرافية التي أظهرت « الاسطوانة الروحية » موضوعة في الكفة الفارغة حكمنا بأنها بينة قوية جداً على صدق الظاهرة ومصدرها غير المادي » .

١٤ — هوديني ومرجري

لئن كان قد فاد بذكر مرجري ووساطتها رجال من أمثال لودج وريشيه ودويل بعد أن تبينوا عملها الروحي العظيم ، وكفاحها هي وزوجها وشقيقها « الميت » في سبيل دعم الروحية ونشر قضاياها ، فانها لم تعدم قوماً ناحوا يشهرون بها لغير سبب . ولعلّ أظهر مثل لهؤلاء المناهضين هو الساحر هوديني غفر الله له .

فكل (١٦) مرجري في الصندوق الذي إبتكره هوديني الساحر . ويرى وقد أمسك هو بيسراها كما أمسك شخص آخر . بيمناها فما تمّ حدوث الظواهر مع كل هذا وجد هوديني من الجرأة الصفيقة ما استطاع به ان يتهمها بالنص والتدليس

(نقلا عن « موسوعة العلم الروحي » الانجليزية)

وكانت وساطة مرجري مطروحة اذ ذاك على بساط البحث أمام لجنة عجلة « صيانتك أمريكان » . وحضر أعضاء هذه اللجنة جلسات مرجري ، وكان هوديني واحداً منهم ، واقتنع معظمهم بصدقها وبصحة التفسير الروحي ، وعجزوا عن تفسير الظواهر تفسيراً مادياً . والواقع أنهم كانوا في مراحل اقتناع متباينة . ولكن أبى هوديني أن يعلن اقتناعه وقد

ظهر له من ينازعه الزعامة في عصر الأحداث العجيبة ؟ بل كيف يعلن اقتناعه بعد ان أعلن هو أنه سيحاول أن يجد لغز هذه الوسيطة ؟

ولهذا أعدّ العدّة ، وبلغ من وثوقه من النجاح أن كتب قبل ذهابه الى بوسطن خطاباً إلى أحد أصدقائه بلندن يقول فيه : انه عن قريب سيفضح أمر هذه الوسيطة ، ويكشف للملأ خداعها وتدليسها . وقد كاد ينجح في مسعاه الخائب ، وذلك بارتكابه هو الغش والتدليس ، لولا أن تدخلت الأرواح في الأمر ، فكانت الفضيحة من نصيبه هو . وفي اعتقادي أن هوديني كان يكف يده عن ذلك لو عرف أن أمره سيفضح ووقعت أمريكا كلها تحت نتيجة عمله .

وساعد هوديني على وضع خططه أنه عرف مقدماً نوع الظواهر التي تحدث في جلسات مرجري ، والأمر الوحيد الذي لم يستطع أن يتلافاه هو تدخل الروح وتر ، ذلك الروح الحذر الأريب الذي كان متيقظاً لكل حركات هوديني ، ولم يشأ أن تكون هفيقته ضحية بريئة لهذا الساحر ، ولم يرض أن تكون معمّة في أفواه الناس ، يتناولونها بالاستهزاء والسخرية والتهكم الجارح ، ولذلك قلب لهوديني كل خططه رأساً على عقب .

وكانت أولى الظواهر التي ستختبر ظاهرة دق جرس كهربائي لا يتم الدق فيه إلاّ بالضغط على ساق خشبية بعيدة جداً عن متناول الوسيطة . فلما أطفئ النور وعمّ الظلام في الحجرة لم يدق الجرس كالمعتاد . وفجأة سمع صوت وتر يصيح في غضب قائلاً « اتقد وضعت يا هوديني هيئاً يحول دون دق الجرس . انك يا هوديني ... » ومضى يوجه اليه أقذع السباب .

ولما أضيء النور وفحص الجرس الكهربائي وجدت قطعة من المطاط الذي يستعمل في مسح كتابة الأقلام الرصاص موضوعة بحيث تعوق حركة الرافعة التي تدق الجرس . وأبدى هوديني بطبيعة الحال جهله التام بذلك ، وما كان أقدر مثله على التجاهل . ولكن من هو ذلك الذي يجرؤ في الظلام على أن يعمل ذلك ، ولماذا لم يعمل ذلك إلاّ في وجود هوديني ؟

وجذّره الروح معية الرجوع الى مثل هذا ، لافتاً نظره الى أن عناده الذي يدفع به الى التدليس أحياناً ، قد يجر عليه أوخم العواقب ، لأنه لا يستطيع مقاومة القوى غير المنظورة ، وخاصة حين يتحلى المقيمون في الجانب الثاني عن مساعدته . ولكن سابق

خطاباته التي كتبها وبعث بها الى لندن ، والزهر الذي يملأ جنباته ، والآرة وحب الشهرة كل هذا ملك عليه لبه ، ودفعه الى المضي في خطته العاثرة التي اختطها لنفسه . وكان في الجلسة التالية أسوأ حظًّا منه في تلك الجلسة . ذلك انه جاء بصندوق على بابه ثمانية أقفال حتى ليظن رائيه أنه صنع لكي توضع فيه عروسًا هائجة لا سيدة رقيقة وادعة كمرجري ولكن ربما كان «الأسلوب العلمي» الذي ينادي به بعض البحّاث الفاحصين يستلزم كل هذا وماكادت مرجري توضع فيه وتغلق الأقفال حتى فتحته على الفور القوى الروحية غير المنظورة . فألجم هذا الحادث غير المتوقع صاحبنا هوديني ، وسكت لا ينبس ببنت شفة ، ولكنه لم يصده عن الأعيبة الماجنة .

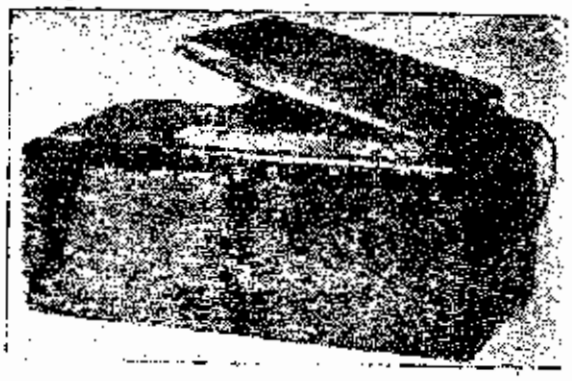

شكل (١٧) الصندوق ذو الجرس
نقلا عن « موسوعة العلم الروحي » الانجليزية

وحدث هوديني بعد ذلك ما هو أسوأ وأسوأ . فقد وُضعت السيدة من جديد في ذلك الصندوق ، وأحكم اغلاقه بعد اخراج يديها من ثقبين في جانبيه . ولوحظ أن هوديني لغير سبب ظاهر قد مرّر يده على ذراع السيدة ثم في الصندوق . وبعد إجرائه بضع تجارب أدخلت ذراعاها في الصندوق ، ولم يبد منه خارجاً غير رأسها ، وانتظروا أن يدق الجرس بعد ذلك . وفجأة لمع في الظلام صوت ولتر قائلاً : « هوديني ، أيها الوغد ! لقد وضعت مسطرة في الصندوق . . . أيها . . . أذكر أنك لن تعمر إلى الأبد ، وأنك لا بدّ ميت يوماً . . . » .

وأضيئت الأنوار على الفور ، وخلص الصندوق — وإذا بالفاحصين يعثرون على مسطرة مطوية ، وكان المقصود أن يقول هوديني فيما بعد إن الوسيطة قد وضعت المسطرة بين أصابعها ، وضغطت بها على الساق الخشبية ، فضغطت هذه على زر الجرس فدق . ويتصايح الناس بعد ذلك في أمريكا ، ثم في العالم كله ، بأن هوديني قد فضح الدكتور كراندون وزوجته مرجري فقد ضبطهما وهما يرتكبان الغش والتدليس لاحداث الظواهر المزعومة ! وما كان لأحد أن ينقذ سمعة الرجل وزوجه بأحسن مما أنقذها به الروح ولتر .

وغلب هوديني على أمره ، وريع إزاء غضب الأرواح غير المرئية . ولما ذهب عنه ذهوله ، واستعاد وعيه من هذه الصدمة ، لم يجد بدًّا من الاعتذار بأن المسطرة لابدّ أن يكون قد تركها أحد أتباعه في الصندوق عفواً ، وكان موقفه أمام الحاضرين مزرياً يدعو الى الإشفاق ولكن هوديني لم يكن ليستحي من أحد في هذا العالم ولا في العالم الثاني . ولم يستطع إذ ذاك إلصاق التهمة بالدكتور كراندون وزوجته ، لأن هذين طلبا إليه أن يفتش الصندوق بعد دخول مرجري فيه فرفض ذلك وأصرّ على الرفض . وكان طبيعيًّا أن يرفض بعد تمرير يده في داخل الصندوق لغير سبب ظاهر كما مرّ بنا . وكان المفروض بعد ذلك أن يعترف بصدق هذه الوسيطة أو يسكت ليداري فشله ، ولكنه في جرأة غريبة أغرق أمريكا كلها بنسخ من كتيب صغير يقول فيه إن مرجري مخادعة وإنه كشف ذلك الخداع ، لأن مرجري قد دقت الجرس باخراج رجلها من الصندوق ، ثم الضغط بها على زر الجرس ! ونسي المسكين أن الجرس ظلّ يدق وقد أمسك به أحد الحاضرين في يده ، وظلّ يدق وقد سار به في الحجرة بعيداً جدًّا عن مرجري . فيا للجرأة الصفيقة !

الواقع أن هذه الحادثة لم تكن فضيحة لمرجري ، بل كانت فضيحة لهوديني نفسه ، وكانت ضربة قاصمة لظهره . وما كان من رجل مجلة « سينتفك أمريكان » وهو العالم مالكولم بيرد Malcolm Bird زميله في عضوية لجنة التحكيم التي اختارتها هذه المجلة لتمحص ظواهر مرجري — لم يكن منه إلاّ أن اتهمه علانية ، وفي مواجهته ، بالغش والتدليس كحكم وعضو في لجنة التحكيم . وقد ذكر بيرد ذلك كله في كتابه النفيس « مرجري الوسيطة » قال : —

« لن أتطرق بإسهاب على رواية «هوديني لما حدث في جلسات مرجري التي حضرها .

والواقع أنه شاهد جملة أحداث لم يستطع أن يقدم لها تفسيراً سوى أنه أجرى مثلها . ونظراً لأنه لم يسلم بصحتها فقد اضطر أن يقدم لها هذا التفسير .

« وفي خلال الجلسة التي دقّ فيها الجرس المرصوص في الصندوق أخذت صورة فوتوغرافية ظهرت فيها المواضع النسبية لجميع أيدي الحاضرين وأقدامهم . والصندوق وما حوله ، كما ظهرت فيها أبعاد الصندوق . وحينما جاء هوديني ليدلي بتفسيره للحكم التلفيق عن كيفية حدوث ذلك الدق وجد أن الصورة الفوتوغرافية لا تتفق معه أبداً ولا تنطبق عليه بتاتاً . ولذا رسم بالقلم صورة تخطيطية مغايراً فيها حجم الصندوق وموضعه ، فزيف بهذه الوسيلة الوقائع كل التزييف .

« ولن أدلي هنا ببيان عن تفصيلات الغش الذي حاول هوديني ارتكابه مع هذه الوسيلة في زيارته الثانية لها . وأكتفي بأن أقول إن شخصاً ما قد أحدث خللاً في صندوق الجرس بحيث يحتاج لكي يدق إلى ستة أمثال الضغط المعتاد ، وأن شخصاً ما قد وضع عمداً في قفص الوسيلة مسطرة مفصلية طويلة لكي يظهرها بأنها إنما حاولت دق الجرس بها . وقد اتهمت هوديني كتابة وفي مواجهته بهذه الأعمال العدوانية الآثمة ، فلم يدافع قط عن نفسه . وكان مسلكه الشخصي بالنسبة لهذه الجلسات أن يحول دون الحصول على بينة إيجابية تدل على الجزم الحقيقي ، ولكن كان واضحاً كل الوضوح أن مرجري لم يكن في وسعها إتيان شيء من هذا — حيث لم تكن لديها فرصة لإتيانه » .

* * *

وختمت جامعة كلارك كتابها « المذهب الروحي بين التأييد والمعارضة » ببعض ما ذكره هوديني في كتابه « ساحر بين الأرواح » مخافة أن تتهم بالتحيز والمحاباة . وقد قال العلامة هاري برايس Harry Price السكرتير الفخري لمجلس جامعة لندن للبحوث الروحية في كتابه « خمسون من صفي البحث الروحي » عن كتاب جامعة كلارك سالف الذكر بعد أن شاد بذكره وحثّ على قراءته : « في رأيي أن المستوى العلمي لهذا الكتاب قد انحطّ باجتوائه على ما نقله من كتاب هوديني المسمى « ساحر بين الأرواح » الذي هو عبارة عن مجموعة حيل وألاعيب لا يجرؤ على اصطناعها أي وسيط مقاس خارج مستشفى المجاذيب » .

١٥ — العداء بين الاقدام والاحجام

لا ندري أيهما كان أكثر إيذاء لهذه الوسيطة الصادقة البريئة ، أهو رجل كهروديي أم عالم من طراز العلامة مكدوجل أستاذ السيكولوجيا بجامعة هارفارد إذ ذاك ؟ حقيقة ان مكدوجل اعترف بصدق الظواهر الروحية ولكنه سلك مع مرجري مسلكاً فيه كثير من الشذوذ . فهو بعد أن حضر خمس جلسة من جلساتها ، وبعد اطلاعه عقب كل جلسة ، هو والحاضرون جميعهم ، بياناً بصدق الظواهر التي تمت تحت وسائل الرقابة العلمية الشديدة ، لم يشأ أن يبدي رأياً حاسماً مكتفياً بتلميحات مبهمة . ولم يستقم الأمر حتى بعد تدخل الدكتور دنجوال Dr. E. J. Dingwall, D. Sc. Ph. D. عضو جمعية البحوث الروحية البريطانية ، فإن هذا أيضاً كان يعترف بصدق الظواهر في أحاديثه الخاصة ويسكت لا ينبس بكلمة في الاجتماعات العامة . فلما انتدب من قبل جمعية البحوث الروحية البريطانية لفحص أعمال مرجري قدم تقريراً دافع فيه بشدة عنها وعن أعمالها . وكان مكدوجل كما قلنا أحد الذين اشتركوا في فحص أعمال هذه الوسيطة ، وكان يخشى الجهر بما تحقق منه . فبعث الى دنجوال خطاباً خاصاً كتب في أعلاه تلك العبارة المأثورة « سري جداً » . وقد نشرته فيما بعد جمعية البحوث الروحية الأمريكية بمجلتها في عدد يونيه سنة ١٩٢٥ بالصفحة رقم ٣٠١ ، وقد جاء في هذا الخطاب ما يأتي : —

« ان شهادتي في هذا الصدد ستكون فيما أرى عظيمة الخطر وخاصة في البيئات العلمية ، على حين أن تقريراً تكتبه أنت وحدك في صالحها لن يكون ذا أثر اذا لم أؤيده أنا . والراجح بل المؤكد ، أنك حين تقرر صدق الظواهر الاكتوبلازمية فان العداء سوف يتهمونك بأنك شريك مرجري في المؤامرة . وعند ذلك تكون شهادتي أحسن دفاع وأصدق إثبات . وعدا هذا فلا شك فيه أني سأقدم تقريراً لجمعية البحوث الروحية البريطانية . ومهما كانت وجهة النظر فانه يكون غير ملائم جداً أن يتباين تقريرك وتقريري عن نفس الجلسات ، أو ان يختلفا اختلافاً خطيراً . . . . إنك تجهر صراحة بأنك مقتنع بحقيقة الاكتوبلازم . هذا حسن في ذاته كيفما كان الحال ، ولكن يبدو لي أنك تحاول أن تجرفني معك » .

وقد علق الدكتور كراندون على ذلك بقوله « ان هذه العبارة المقتبسة تدل على مسلك

البحّاث ، فالمسألة لديهم لم تكن « ما هو الحق » بل كانت « ما هو الأنسب كتابته في التقرير ؟ »

على أن مكدوجل كباحث عالم لم يطاوعه ضميره على المضي في هذا المسلك الجائر . فألقى أولاً في جامعة كلارك الأمريكية سنة ١٩٢٦ محاضرته الشهيرة « البحث الروحي كدراسة جامعية » . ثم مضى بعد ذلك أبعد من هذا فأصدر مجلته « الباراسيكولوجيا Para Psychology » ونادى فيها بصدق الظواهر الروحية .

ولعلّ احجام بعض العلماء وأهل الرأي عن الجهر بآرائهم في هذا الصدد يرجع بالأكثر الى خوفهم من تشهير مناهضي الروحية بهم ، كما حدث لبعض الأفذاذ هنا في مصر وقد جهروا به في أحاديثهم الخاصّة ، ولئن كان ذلك لا يصح أن يتخذ وسيلة للكف عن البحث العلمي . وخير ما نقدمه لهؤلاء هو الموقف الجريء الذي وقفه العلماء الروحيون البارزون . ونكتفي بذكر ما تمّ للعلامة سير وليم كروكس ، فانه لما وكل اليه فحص الظواهر الروحية سنة ١٨٧٠ قابلت الدوائر العلمية هذا الاتجاه بالترحاب ، وقابله بعضهم بالتهليل والتكبير . فلما جهر بأن الظواهر صادقة انقلب التهليل تجريحاً واستهزاء . ويقول هو : —

« حينما أعلنت أنني قد اعتزمت فحص هذه الظواهر صادف إعلاني هذا موافقة عامة . فقال قائل ، إن آرائي تستحق التقدير العظيم ، وأبدى آخر الرضى التام ، لأن الموضوع على وشك أن يفحصه رجل مثقف تثقيفاً كاملاً . وقال ثالث : إنه قد سرّه أن يعلم أن المسألة الآن قد وكلت إلى عناية رجال لا يتأثرون ، ذوي عقول نيرة ولهم مكانتهم في عالم العلوم . وأكد رابع : أنه لا يمكن أن يشك أحد في أن كفاية مستر كروكس ستنهض بعملية فحص هذه الظواهر دون محاباة البتّة . وكتب ظريف ناقد يحدث قراءه فقال : اذا كان رجال من أمثال مستر كروكس يمكنون بتلابيب الموضوع فانهم لن يسلموا قط بصحة شيء ما لم يثبت لهم ، ومن ثمّ فسنعرف قريباً مقدار ما نصدقه ونؤمن بصحته .

« وإخال ان هذه الملاحظات كلها قد تسرّع أصحابها كثيراً في إبدائها . والظاهر أنهم كانوا مفترضين مقدماً أن نتائج تجاربي ستكون متفقة وآراءهم التي اختمرت في صدورهم . ولم تكن رغبتهم في الواقع الوصول الى الحقيقة بل العثور على بينة جديدة تؤيد اقتناعاتهم

المقررة من قبل. فلما ظهر لهم أن الحقائق التي أسفر عنها البحث لا يمكن أن تتفق آراءهم تلك انقلبوا على أعقابهم منادين بالويل والثبور وعظائم الأمور . . .

« وحاولوا أن يتملصوا من أقوالهم السابقة الدالة على خالف وثوقهم بذلك العالم البحاثة ، فقالوا عن الوسيط هوم Home إنه ساحر ماهر خدعنا وخاتلنا . . . . ، وإن مستر كروكس بنفس الاحتياط قد يضحر أعمال أي ساحر هندي) و(إنه لا بدّ لمستر كروكس أن يجيئنا بشهود أصدق قبل أن يظفر بتصديقنا إياه) و (ان الموضوع من السخف بحيث لا يصح النظر إليه بعين الجد والاعتبار) و (ان ذلك مستحيل وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون قد حدث) و (ان الحاضرين جميعهم قد توهموا فتخيلوا أنهم يرون أشياء لم توجد في الواقع) » .

فما أهبه القيلة بالبارحة !

١٦ — الاظلام والاضاءة

رأينا فيما سردناه أن بعض الظواهر لا تتم إلاّ في الظلام أو في الضوء الأحمر . وكثيراً ما يسأل ويسأل السائلون عن ذلك ، بل كثيراً ما اتخذه بعضهم حجة على الروحية لا لها ؛ وهذا برغم ما كشفه التصوير الفوتوغرافي والسينمائي بالأشعة تحت الحمراء في جميع التجارب في فحمة الظلام . والجواب على ذلك هو أن عملية سحب الاكتوبلازم اللازم لاحداث الظواهر من جسم الوسيط ، وتكوين تلك القضبان الاكتوبلازمية ليست سوى عملية حيوية قد تشبه إلى حدّ ما عملية الولادة . ولو فكرنا قليلاً لتبينا أن العمليات الحيوية جميعها تحدث في الظلام ، وفي الظلام فقط . فعمل المخ ، والتنفس ، وضربات القلب ، والهضم . والحمل — كل هذا يتم في الظلام . وبالاختصار ان من خواص الاكتوبلازم أنه يذوب في الضوء .

وعدا هذه العمليات الحيوية لدينا حالات إظهار التوحات الفوتوغرافية ، فهذه لا تتم إلاّ في ضوء فاتر لا تتعدى شدّته شدّة الضوء الأحمر . ويلاحظ بجانب ذلك أن عملية إظهار الفوتوغرافيا الملونة لا تتم إلاّ في ظلام دامس . ومن ثمّ فالحاجة الى الظلام أو الى الضوء الأحمر في التجارب الروحية ليست أمراً مستغرباً ، وهذا لا يستلزم من الباحث النزيه إلاّ بعض

الذكاء والكياسة لبسط رقابة معقولة محدودة أوربية خلال أجراء التجارب .

على أن الاعتماد على الحواس وحدها في الادراك قد يؤدي إلى الغرض في أحوال الحياة العادية فقط ، أما في بحث ظواهر حجرة التحضير فالواجب ألا يعتمد عليها الاعتماد الكلي . وقد أثبت العلم أن ذلك الذي يبدو لنا صلباً جامداً ليس كذلك في الواقع ، وان كل ذرة من ذرات المادة عالم من البروتونات والالكترونات وما إليها من الجسيمات الأخرى ، وأن الجسم الصلب لا يحتوي إلا على جزء من مليون جزء منه من المادة . أما الباقي ففضاء يمكن أن يوازن تسبيحاً بالفضاء الكائن بين الأجرام السماوية . ولا تدرك أبصارنا من الأضواء إلا الطيف الذي يبدأ بالأشعة الحمراء وينتهي بالأشعة البنفسجية كما نرى في قوس قزح ، مع أن العلم كشف لنا إشعاعات أخرى في غير منطقة الطيف الضوئي المعروف . وترينا عدسة الكوارتز أشياء لا تراها العين العارية . ولا ترى العين كذلك الأشعة السينية وما إليها من الأشعة الأخرى العلاجية وغير العلاجية . وهذا عدا الأشعة الكهربية المستكشفة حديثاً والتي اذا سلطت على انسان أو حيوان أو جماد اختفى عن العين وعن عدسة الفوتوغرافيا كذلك . وناهيك بالموجات الصوتية الصامتة التي لا تدركها الأذن .

١٧ — وفاة مرجري

وانتقلت مرجري الى عالم الروح في نوفمبر سنة ١٩٤١ ، ورثتها الصحف الروحية أبلغ رثاء ، ولم تنعها من الصحف الانجليزية الكبرى الا صحيفة الديلي تلغراف اللندنية . وقد خسرت الروحية بفقدها وسيطة فذة في وساطتها . وكان قد سبقها الى عالم الروح زوجها الدكتور كراندون ، وكان انتقاله في سنة ١٩٤٠ . وعند وفاة زوجها كتبت الى محرر « سايكك نيوز » تنعي اليه زوجها بهذه الكلمات . وقد كتبتها فوق بطاقة من بطاقات البريد العادية قالت :

« لقد تركنا روا ... ليقيم مع ولتر » .

وها هي ذي قد تركت هذا العالم لكي تقيم مع روا وولتر .

تلك هي « العجيبة الثامنة » . هي مرجري المثل الكامل للوسيطة الكاملة التي لم يبق

أمامها لكي يعترف مناهضو الروحية بصدقها إلا" أن « تقلي نفسها في الزيت » (كما يقول العلامة بول ملر Paul Miller في كتابه النفيس « موكب الروح » الذي صدر في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٣ . وطويت بوفاة مرجري صفحة روحية مجيدة كم ودّ الروحيون أن لو ظلت منشورة فترة أخرى . على أن ذلك لا يمنع أن تطالع عالم المادة ، وهي في عالم الروح بصفحات أخرى تظل الى الأبد خفاقة .

١٨ — المسألة الكبرى

وبعد فماذا وراء هذا كله ، والى أي طريق يسوق الانسانية ؟ وتلك هي المسألة الكبرى التي يسعى الى شرحها العلم الروحي الحديث .

(١) فأما الظواهر أو الاحداث المادية التي تتم في حجرة التحضير فهي تجريب حسي حقيقي صحيح ، وأمر واقع يجب أن يسلم به الانسان . وهي جزء من قصة معرفة الانسان بالكون ووقوفه على سر من أسراره .

(٢) وأما البحث الروحي فانه يثبت حقائق لا تتصل فقط بعالم المادة المحسوس بل بعالم آخر لا تدركه حواسنا ، وهذا العالم هو الدولة الروحية التي قوامها الشخصية الآدمية لا الجسد المادي . وان هذه المنطقة الخفية لتدعو الروّاد لاستكشافها طالبة اليهم أن يبحثوا في حقيقتها لكي يظهروها للملأ ، إذ أن فيها سر الخلود . وليس هناك ما هو أجل ولا أنبل من حلّ علمي سليم لمسألة بقاء الشخصية وبقاء الوعي بعد ذلك التغير الذي نسميه موتاً ، وهي تلك المسألة التي نسلم بها عن طريق الايمان ، والتي أصبحت والحمد لله أساس الدراسة التي أنشئت حديثاً في جامعة كمبردج العريقة .

(٣) وأما العلم المادي فقد أفلس عند حافة القبر ، ولا يقدم الدين من الوجهة العملية الا" تعزية فاترة . وقد نجح العلم الروحي الحديث في قتل المادية ، كما ذهب كذلك باللاأدرية التي اتخذ منها بعض المتعلمين في الوقت الحاضر تكأة ومطية ، وأثبت أن الانسان روح قبل كل شيء ، وأن الكون كله في أصله روحي لا مادي ، واننا في حالة تطورنا الحالي لا ندرك منه الا" الشق المادي الذي تترجم اهتزازاته وتتوافق مع اهتزازات أعضاء الحس لدينا ، وان الموت تغير بيولوجي وكيموي لا أكثر ولا أقل .

(٤) وأما نقّاد العلم الروحي الحديث وكارهوه فهم سلالة تلك العصابة القديمة التي أرهقت أحرار المفكرين وأوسعتهم تعذيباً وتقتيلاً وحرقاً ، ولكنهم لعجزهم في الوقت الحاضر عن إتيان أعمال القسوة والوحشية مضوا يسمون العقول والأفكار بتلك النظريات المادية الملتوية حتى لقد إبتدعوا علماً سموه « علم النفس » ينكر وجود « النفس »

ولكن الروحيين على الرغم من كل هذا ساروا قدماً حاملين مشعل العرفان ، قائلين مع الرئيس روزفلت « إن أكبر صيد في العالم هو أن تحارب في سبيل مسألة غير متداولة ولا مشهورة حين تعرف أنك على حق فيها »

١٩ — المراجع Bibliography

1 — Cavalcade of The Spirit, by Paul Miller (1943).

2 — The Case for and Against Psychical Belief, Symposium, edited by Dr. Carl Murchison, Copyright, 1927, by Clark University.

3 — Encyclopaedia of Psychic Science, by Dr. Nandor Fodor, L. L. D. (1933)

4 — Psychic News, numbers : 494, 495, 496, 497, 498, 499, 500, 501, 502, 503 (Issued in 1941, 1942).

فهرست

٣ مقدمة
٥ مفردات وشرحها
٧ تمهيد
٩ بدء وساطة مرجري وتنميتها
١٠ بعثة الاسهام
١١ تحقيق عالم علمي
١٨ الصوت المباشر
٢١ ظواهر تنفسية
٢٢ تسجيل صوت الروح وتأثر واذاعته باللاسلكي
٢٤ الوساطة العقلية
٢٨ توقيع كرنان دويل من عالم الروح
٣١ مرور مادة خلال مادة
٣٧ المجلوبات الروحية والمأخوذات
٣٨ كتابة الغيبوبة
٣٩ تجربة الميزان
٤١ هوديني ومرجري
٤٦ العلماء بين الاقدام والاحجام
٤٨ الاظلام والاضاءة
٤٩ وفاة مرجري
٥٠ المسألة الكبرى
٥١ المراجع
٥٢ فهرس

في العلم الروحي الحديث

تأليف

الحكيم فيثاغورس الخامس

يتضمن هذا الكتاب أحدث البحوث والنظريات الروحية التي تهدم الى حد كبير تلك الآراء السيكولوجية والمادية المتعلقة السائبة . فهو يحدثك عن ظواهر عالم الروح ، ويحدد لك مقره في لوحة الكون ، ويشرح لك طرق الاتصال به . ويفسر لك النوم والاحلام والموت الظاهري والاسراء والمعراج ، ويفصل لك علاقة العلم الروحي الحديث بالجريمة ، ويتكلم عن المجلوبات الروحية والمأخوذات وعن الموسيقى الروحية والفوتوغرافية الروحية والعلاج الروحي كما يراه أساتذة الطب في الغرب ، ويصف تجارب العلاج الروحي التي تمت في القاهرة موضحة بالصور الفوتوغرافية ومدعمة باعترافات المرضى وشهادات بعض حضرات الاساتذة في كلية الطب بمصر . وتحضر بعضهم جلسات العلاج

ويجد القارىء فيه رسائل ممتعة في العلم والادب والشعر والاجتماع بعث بها المقيمون في عالم الروح من علمائنا وقادتنا وغيرهم . وعدا هذا يشتمل الكتاب على بيان مسهب يحل لغز الساحر هوديني الذي كان وسيطاً مقتدراً ، ويفصح عن قانون تكوين الارواح أو الاشباح ، وعن حيراننا غير المرئيين من غير الارواح وغير ذلك .

ويتناول الكتاب تطبيق النظام الموجي على الظواهر الروحية ويختم بخمسة بحوث مترجمة .

الاول — « الظواهر الروحية في ضوء العلم الحديث » للعلامة هاريولد .

الثاني — « البحث الروحي كدراسة علمية » للعلامة السيكولوجي الاستاذ مكدوجل أحد محكمي لجنة مجلة السينتفك أمريكان لبحث الظواهر الروحية .

الثالث — « هل يستحق البحث الروحي أدنى عناء ؟ » للدكتور ولتر فرنكلن برنس رئيس جمعية البحوث الروحية الامريكية وأحد محكمي لجنة مجلة السينتفك أمريكان سالفة الذكر .

الرابع — « البحث الروحي والفلسفة » للعلامة هانز دريش أستاذ الفلسفة في جامعة ليبزج ورئيس جمعية البحوث الروحية البريطانية .

الخامس — « بعض الوجوه الخطيرة للبحث الروحي » للعلامة شلر أستاذ الفلسفة في جامعة اكسفورد .

والبحوث الاربعة الاخيرة قدمت محاضرات ألقاها هؤلاء العلماء الاعلام في جامعة كلارك الامريكية سنة ١٩٢٧ بدعوة منهم ، أي قبل أن يصبح العلم الروحي دراسة جامعية كما هو الآن في جامعة كمبردج وغيرها .

والكتاب كله مزين بالصور والرسوم ويقع في نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير

قريباً يظهر هذا الكتاب

ترجمة أحمد فهمي أبو الخير

على حافة العالم الأثيري

تأليف العلامة ج . آرثر فندلي رئيس المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن

أحدث هذا الكتاب ثورة في البيئات العلمية والدينية في أوروبا وعلى الأخص في انجلترا . ترجم الى عشرين لغة، وطبع أكثر من أربعين طبعة عدا الطبعة الخاصة بالميسان . يحدثك عن عالم الروح وكيفية الاتصال به، ويبين لك في خريطة الكون الحقائق المذكورة فيه مبنية على أحدث نظريات العلم الحديث . يثبت لك بشكل عملي ان الحياة خالدة . وأن الموت ليس إلا ولادة لحياة جديدة أرقى وأرقى . وأن من تسميهم (الموتى) تستطيع بتوافر شروط خاصة أن تراهم وتسمعهم وتجلس اليهم وتجاذبهم أطراف الحديث، وتصورهم بالفوتوغرافيا وتسجل أصواتهم وصورهم على شريط سينمائي ناطق

الكتاب مزين بالصور والرسوم وثمنه ١٠ قرشاً صاغاً وأجرة البريد ٨ قروش

ظواهر حجرة تحضير الأرواح

تأليف الدكتور الطبيب الروسي فرديريك باورز

استاذ الامراض العصبية في جامعة منيابوليس بالولايات المتحدة أمريكا

جمع المؤلف في هذا الكتاب ما يناهز الستين من التجارب الروحية في العصر الحديث، وأضاف جديد تجاربه الخاصة التي أجراها مثل سير وليم كروكس من كبار علماء انجلترا والكيميا في القرنين الماضي والحاضر والدكتور باورز كرجل طبي اجرى كشفاً طبياً بمساح الصدر (استيتوسكوب) على روح تجسد أمامه كما لا يخفى على الاستاذ والطبيب، وكتب بنتيجة الفحص تقريراً أمضاه هو وطبيبان غيره. وذكر الدكتور بلازم تجليات ميكروسكوبياً، وقص خصلة من شعر روح والدته وقد تجسدت، وبعد انصرافها قص الشعر فعاد طبيعياً . والكتاب حافل بالمئات من الفوتوغرافات الطبية العيلية المدهشة التي تحير الالباب. وكلها مؤيدة بشهادة الحاضرين من أطباء وغيرهم من أعضاء جمعيات البحوث النفسية بأمريكا وأوروبا

الثمن ٤٠ قرشاً صاغاً وأجرة البريد ٨ قروش . يطلب هذان الكتابان من المكاتب الشهيرة

ومن المترجم بمنزله رقم ٢٣ بشارع الفخار بالروضة بمصر : تليفون رقم ٩٧٩٩٦

تأليف : احمد فهمي ابو الخير

عجائب الفيزيقا

علم وقصص

نال هذا الكتاب جائزة مالية من وزارة المعارف العمومية في المباراة العلمية للتجميع الافتتاح الفكري بين المدرسين لعام ١٩٣٨–١٩٣٩ المدرسي . وهو الاول من نوعه، ويتضمن حقائق « علم الطبيعة » مبسطة كل التبسيط . وهو للطالب وغير الطالب علم ومتعة . خال من التعقيدات الرياضية . تقرؤه وكأنك تقرأ قصة فتخرج منه بخلاصة وافية لقواعد « علم الطبيعة » الذي يدرس في المدارس والجامعات . والكتاب مزين بصور كثيرة وثمنه ٤٠ قرشاً والبريد ٨ قروش

الفيزيقا الحديثة

حاضرها ومستقبلها

كتاب هو الاول من نوعه في بسط نظريات العلم الحديث في غير تعمل ولا تهاول . يقدم للقارئ مادة جديدة في الذرات والنجوم ، ومعلومات شيقة من الموجات الاثيرية ، والقوى الكامنة في المادة ، وتبادل التحول بين المادة والطاقة ، وبناء الذرات ، والجاذبية واللسيفة ، ونظرية الكم والميكانيكا الموجية . ويفسر المادة والحياة والعقل تفسيراً علمياً ، ويدرس مسألة الزمن على ضوء كل من علم الفيزيقا والفلك . قالت عنه لجنة الفحص بوزارة المعارف « ان المعلومات الواردة فيه قد تناسب ادراك طلبة الجامعة المصرية الذين يدرسون مواد تتصل بعلم الطبيعة » . موضح بالصور والرسوم

الثمن ٤٠ قرشاً صافياً والبريد ٨ قروش . يطلب هذان الكتابان من المكاتب الشهيرة

ومن المؤلف بمنزله رقم ٢٣ بشارع الفتاح بالروضة بمصر . تليفون ٩٧٩٩٦

كتب أخرى للمؤلف

بين تأليف وترجمة

أولاً — روايات تاريخية :

الملك المنفرد	.. ..	سنة ١٩٢٦
الأميرة المصرية	.. ..	سنة ١٩٢٦

ثانياً — كتب علمية :

مذكرات التاريخ الطبيعي	.. ..	سنة ١٩٢٥
السيماتوغراف وهندسته	.. ..	سنة ١٩٢٩
علوم العرب الرياضية وانتقالها الى أوربا		سنة ١٩٣٠
هرم الجيزة الاكبر ـ مقاصده وعملياته البنائية		سنة ١٩٣٠
حرب الغازات (محاضرة)	..	سنة ١٩٣١

ثالثاً — في العلم الروحي الحديث :

ظواهر الروحية (ملخص أعمال سير وليم كروكس)		سنة ١٩٣٩
خلق الانسان من تراب	.. ..	سنة ١٩٣٩
عالم الروح في ضوء العلم الحديث	..	سنة ١٩٤٠
العلاج الروحي كما يراه الطبيب الدكتور ادوين لردوبك باورز		سنة ١٩٤٠
الروحية والجريمة	.. ..	سنة ١٩٤٢
العلم الروحي الحديث في الجامعات		سنة ١٩٤٤
السيكولوجيا والروح	.. ..	سنة ١٩٤٥
المعجزة الثامنة	.. ..	سنة ١٩٤٦
ظواهر الطرح الروحي	.. ..	سنة ١٩٤٦